ولد الهدى فالكائنات ضياءُ
وفم الزمـــان تبسّم وسناءُ

* * * * * *

الروح والملأ الملائك حولهُ
للدين والدنيـــا بـه بشـراءُ

بشرى بمولد أحمد

سلمان هادي آل طعمة •

جنح الفجر يغني في ابتهالِ ... يسكبُ الألحانَ في دربِ الجمالِ
وانبرى الشوق بناغي طرباً ... فوق هامِ المجد مبهورَ الخيالِ
يا لها من ذكرياتٍ عَبقت ... في سماءِ العرب كالعطرِ المسال
أي بشرى غمرت تاريخنا ... بوليدٍ لاحَ موفورَ الكمال
ويتيمٍ رفرف المجدُ به ... وتباهى الكونُ بالسحرِ الحلال
ولد الحقُ، وما أعظمه ... من فتىً هدَّ طواغيتَ الرجال
فغدا البيتُ كفجر باسمٍ ... وشدا الدهرُ بأنغامِ الجلال
فتسامت شرفاً (أُمُّ القرى) ... وسمَت قدراً وفازت بالمنال

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

يا أبا الزهراءِ، ما أنتَ سوى ... قبسٍ شقَّ دياجيرَ الضلال
أنتَ إشراقةُ فجرٍ أبلج ... ونشيدٌ ذابَ في طيفِ الخيال
هلَّ للأحرار من بعد الدجى ... لامعاً كالسيف في روعِ السجال
وأقامَ الدينَ شمساً نورها ... يبهرُ الأفكارَ في أسنى مثال

جئتَ للعالم بدراً ساطعاً ... ورسولاً في العلى فذَّ الخصال
تحمل القرآن دستورَ الهدى ... ينشرُ النورَ بأعماق الليالي
جئتَ والعالمُ موجٌ صاخبٌ ... يعتريه الجهلُ في أسوءِ حال
فإذا سهمُ الإبا منتفضٌ ... يحصدُ الكفرَ ويودي بالوبال
وإذا الإيمان في الشعبِ اصطلى ... يتحدّى الخصمَ في عزم الرجال
كنتَ للعلم مناراً ساميا ... تسحر الألبابَ في حسن المقال
وسحقت الظلم في يوم الوغى ... ودحرتَ الكفرَ بالسمر العوالي
ومحوتَ الشركَ في أوكاره ... وتحدّيتَ أراجيفَ الضلال
ونشرتَ العدل ما بين الورى ... وجعلتَ الحقَّ عنوانَ الكمال

* * * * *

شعَّ نورُ (المصطفى) مؤتلقاً ... وغدا مبتسماً ثغرُ المعالي
فإذا الباطلُ مهزوز القوى ... وإذا الحقُ كأصداف اللآلي
قد حباهُ الله فخراً سامقاً ... تتوارى دونه شمُّ الجبال
صادقُ القولِ أمينٌ عادلٌ ... مرهبُ الأسدِ بساحات القتال
خُلقٌ برٌّ وعزٌّ شامخٌ ... يملأ الدنيا بآياتِ الجمال

* * * * *

إنَّما الدينُ الذي جئتَ به ... ينشدُ الحقَّ ويدعو للنضال
إنَّه ثورةُ عدلٍ حطمتْ ... معقل الأحرار بالبيضِ الصقال
وتحدَّتْ غائلَ الموتِ وكم ... جَرَّعت أعداءها كأس الوبال؟
يا رسولَ الله نبراسَ الهدى ... زادكَ المجدُ جلالاً بجلال
هكذا تبقى مناراً للحجى ... تزدهي فخراً وتهدي للكمال

مُحتَوياتُ العَدَد

كلمة العدد

حلّ الربيع.. ولكن!!

هيئة التحرير ٨

قرآنيات

المرتكز الأخلاقي في القرآن الكريم

محمد كاظم الفتلاوي ١٠

دفع تهمة الضلالة عن الرسول صلى الله عليه وآله

د. سيروان عبد الزهرة الجنابي ١٤

تحقيقات

طريق الحج العراقي.. متابعة ميدانية

محمد عبد الغني السعيدي ٢٢

مع الفقيه

أجوبة استفتاءات مطابقة لفتاوى

سماحة السيد الحكيم (مدّ ظله) ٤٤

واحة الأدب

الوعد الحق.. قصة شعرية

تحرير هادي ٤٨

على درب المعجزات.. قصة قصيرة

بنت العراق ٥١

للفضيلة نجومها

العلامة الزاهد السيد هادي الصائغ

جواد عبد الكاظم محسن ٥٤

الشيخ موسى دعيبل.. من أساطين الفقه

محمد دعيبل ٥٩

ص ٤٤

ص ١٠

ص ٩٨

ص ٣٨

إضاءات السيرة

علاقة الإمام الصادق عليه السلام بالعلويين

حيدر الجد ٦٤

طروحات عامة

صحافة الحلة منذ نشأتها حتى ١٣٨٨هـ

د. صباح نوري المرزوك ٦٨

آثار تحية الإسلام في العلاقات الإنسانية

مجيد جواد الرفيعي ٧٤

الخط العربي وإبداعاته في بلاد الأندلس

كريم نصيف الجميلي ٧٦

تأثير التأخّر القرائي على التحصيل الدراسي

أ. م. نجم عبد الله الموسوي ٨٠

العراق والغزو الثقافي

بهاء حمزة عباس ٨٤

المجتمع النجفي.. قراءة في الأصول والخصائص

د. حيدر نزار السيد سلمان ٨٦

الاستشراق.. مفهومه ونشأته

د. عادل عباس النصراوي ٩٠

قراءات

قراءة نقدية في كتاب حسن العلوي "عمر والتشيع"

سجى محمد جواد ١٠٠

في الذاكرة ٣٨

وقفة مع الذكرى ٤١

أجوبة مسابقة العدد (٣٨) وأسماء الفائزين ١١٢

مسابقة العدد (٤١) ١١٣

ص٦٨

ص٢٢

ص٩٠

ص٦٤

حلّ الربيع.. ولكن!!

بسم الله الرحمن الرحيم

بعد أن غادرنا فصل الشتاء، الذي بدت فيه الأرض ميتة وأوراق الأغصان في الشجر يابسة تذروها الرياح، وقد اختفت الطيور عن الأنظار في أوكارها..

حلَّ الربيع.. وقد دبّت حركة الحياة في الأرض من جديد مع سقوط الغيث واعتدال الهواء.. الأشجار تعود إلى الحياة.. يزول عنها الذبول.. تكتسي الأوراق خضرة بهيجة ويغطي الخضار سفوح الجبال والسهول، وتتلألأ بابتسامة شفافة ألوان الزهور جمالاً وروعة، وتنمو البراعم على الأغصان.. وانطلقت الطيور والعصافير تتنقل بين الأشجار مرفرفة مزقزقة ابتهاجاً وفرحاً بحلول الربيع.

إنه أعدل الفصول وأحسنها، إذ ليس فيه برد مزعج ولا حرّ مقلق، وليس في ليله ولا نهاره طول خارق، بل كله معتدل. وقد تغنّى الشعراء في الربيع كثيراً وقالوا كلاماً أصفى من الزلال وأرق من النسيم، وقد صور شاعرنا العربي البحتري صور جميلة للربيع بقوله:

أتاك الربيعُ الطلقُ يختالُ ضاحكاً
منَ الحسنِ حتّى كادَ أن يتكلما
وقد نبّه النيروز في غسقِ الدجى
أوائلُ ورد كنّ بالأمسِ نوّما

حلَّ الربيع.. والناس فيه تنتعش قواهم وتنصلح أمزجتهم وتنشرح صدورهم وتهدأ نفوسهم، لأن الأبدان كالأشجار حين تستقبل أواخر البرد في الربيع، فقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: «توقوا البرد في أوله، وتلقوه في آخره، فإنه يفعل في الأبدان كفعله بالأشجار أوله يحرق، وآخره يورق».

حلَّ الربيع.. واعتدل الطقس.. وخرج الناس في سفرات ربيعية.. إنها فرصة جميلة لانطلاق الأسر والإحساس بالبهجة وجمال الطبيعة، يلتقي فيه الإخوة والأحبة ابتهاجاً وفرحاً وسروراً، وهذا التواصل واللقاء من حسنات الربيع، ما لم تلوثه معاصي الله في حفلات اللهو والطرب والغناء والرقص والاختلاط المريب بين الجنسين. بدل أن يكون الربيع مدعاة لشكر المولى على نعمه وآلائه وتذكيره بالمعاد لأنه صورة من صوره، حيث أحيا الله الأرض بعد موتها ونمت براعم الأشجار واخضرت بعد يبوستها، وغردت الطيور تسبيحاً لله على نعمته وعظمته:

أو ما ترى فصلَ الربيعِ وطيبِهِ
قد نبّه الأرواحَ من رقداتِها
والطير تصدحُ في الغصونِ كأنما
مدحتْ نظامَ الملك في نغماتِها

حلَّ الربيعُ.. وبحلوله تمرّ أربعة أشهر على صدور العدد من مجلة (ينابيع)، فقد تأخر عن قرائنا الأعزاء، وفي الوقت الذي نعتذر فيه إليهم عن هذا التأخير نوجه عتبنا إلى كل الإخوة أصحاب الأقلام والمثقفين.. أكاديميين وحوزويين عن تباطئهم في رفد مجلتهم (ينابيع) بالبحوث والمواضيع الثقافية، مما أدى إلى تأخّر صدورها كل هذا الوقت، وعتبنا على الرساليين منهم أشد، إذ فرطوا بوقتهم وجهدهم، ولم يستثمروا هذه الفرصة التاريخية التي طالما انتظروها، فرصة نشر الثقافة الحقيقية وبكل حرية.. والزمن لا يؤتمن.. ولا ندري ما تخبئه الأيام، «والفرصة تمرّ مرّ السحاب فانتهزوا فرص الخير»، و: «أشد الغصص فوت الفرص»، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام، فإذا فاتت الفرص وتبدل الحال، وكممت الأفواه من جديد، وجففت الأقلام، والأمس ليس ببعيد.. عند ذاك لا ينفع الندم، خصوصاً ونحن نرى أعداءنا قد استغلوا كل لحظة، وجنّدوا كل الطاقات، ولم يهدأ لهم بال لينالوا مرادهم في تثبيت الباطل ودحض الحق، وليس هو في الميدان الثقافي فحسب وإنما في جميع الميادين. فلابد من استغلال الوقت وعدم الانشغال بأمور جانبية تافهة وعدم تحكيم الأنا والشعور بالمسؤولية تجاه ديننا وأبنائنا من أجل رفع المستوى الديني والثقافي تحسباً للخطر الذي يحيط بنا، وفهم تأثير العولمة الثقافية في مجتمعاتنا وما تجرّه من ويلات على القيم والمبادئ الإسلامية السامية.

نسأل الله تعالى أن ينبهنا من نومة الغافلين ويعيننا على أنفسنا بما يعين الصالحين على أنفسهم إنه أرحم الراحمين ■

هيئة التحرير

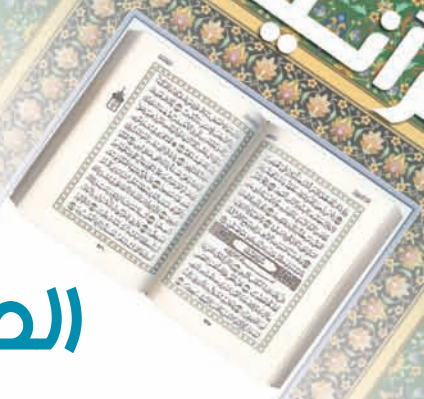

المرتكز الأخلاقي في القرآن الكريم

محمد كاظم الفتلاوي •
كلية الدراسات الإنسانية الجامعة

ينابيع

إن الإسلام قرآناً وسنة قدم للإنسانية نظاماً أخلاقياً عملياً شاملاً هدى ورحمة للعالمين، ففي آداب الإسلام وأخلاقياته ومعنوياته ما يقوم دستوراً للحياة في كل صور الحياة وأسماها، وللحضارة في أرقى ما تصل إليه الحضارة، يصوغ المعاملات والعلاقات الاجتماعية والسلوك الإنساني على الحق والخير ولا يضع قيوداً على الضمير أو يحول دون تقدم الفكر، ولا يكبل الإنسان بالزهد والتقشف، ولا يرضى أن يسلم نفسه للترف والمتاع، بل كان بين ذلك قواماً يدعو إلى التأمل والنظر في خلق الله، وإمعان الفكر ليسمو العقل إلى حقيقة الكون والكشف عن أسراره[1].

ويعد القرآن الكريم المصدر الأساسي لتعاليم الإسلام وأحكامه وقيمه وتوجيهاته، وهو صالح لكل زمان ومكان، وهو لم يترك صغيرة ولا كبيرة من الأصول والأسس والمبادئ التي تفيد الإنسان وتنفعه في حياته وآخرته إلا تضمنه وأشار إليه بشكل مباشر، فالقرآن الكريم هو حبل الله المتين ليس بفلسفة ولا نظرية، لذا فهو مصدر صالح يمكن المسلمين أن يشتقوا منه أسس ومبادئ وفلسفات ونظريات حياتهم، بما فيها فلسفتهم التربوية الأخلاقية ونظامها التعليمي والسياسي[2].

إن الباحث الذي يسبر غور الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الطاهرة ويستقرئها يجد ذخيرة وفيرة من القيم التربوية والأخلاقية التي تنظم علاقة الإنسان بربه من جهة ومع بقية أفراد المجتمع من جهة ثانية .

ولذا نجد أن المنظومة القيمية التي

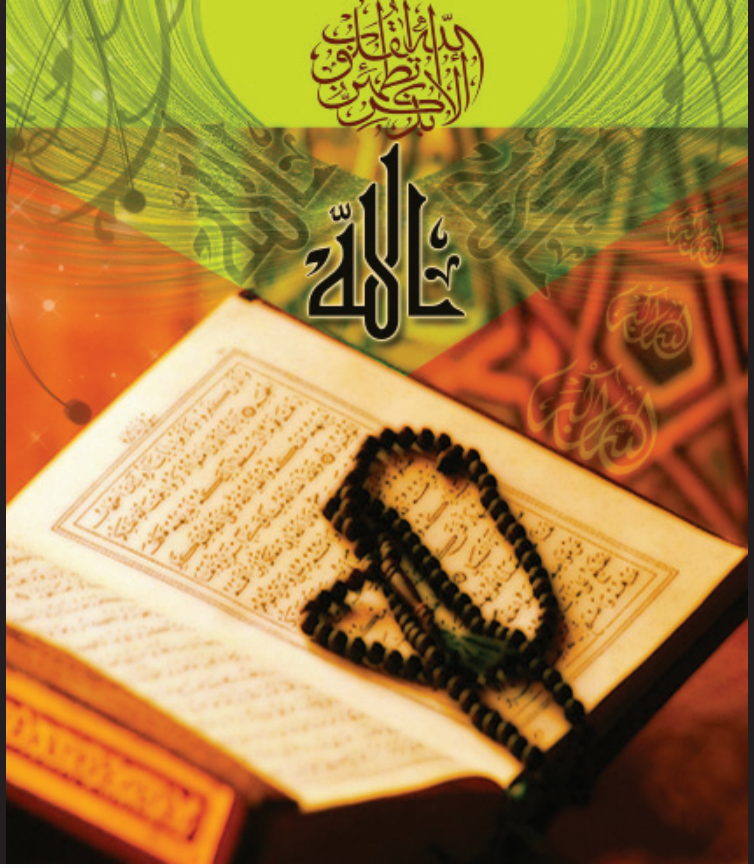

أرست دعائمها العقيدة الإسلامية مرتبطة ارتباطاً قوياً بالأيمان بالله، وعليه فأن التربية التي يدعو أليها الإسلام هي تربية خلقية تسعى إلى بناء الإنسان بناءً خلقياً سليماً وتجعله يعود إلى ذات نفسه والى القيم الخلقية التي يلتزم بها في جميع أنماط سلوكه مثل الصدق، والأمانة والعدل، والرحمة، والحلم، والحرية وغير ذلك من أمهات الفضائل الإسلامية المرتبطة ارتباطاً وثيقاً بحقيقة الإيمان[٣].

إن ربط السياسة بالقرآن الكريم وأحاديث المعصوم، يساعد على إبراز العلاقة التي تربط الدين بواقع الحياة وبمشاكلها ومناشطها، ويقوي لدى الناشئة الشعور الديني وروح الفخر والاعتزاز بدينهم وتراثهم الإسلامي[٤].

إن القرآن الكريم كتاب للإنسانية، فهو كلام الله ووحي سماوي وليس من إبداع الفكر الإنساني، وهو كتاب يقدسه ويحترمه جميع المسلمين.

وهو مصدر الأخلاق وميزان القيم، فالأخلاق الفاضلة وسيلته وغايته في تحقيق سعادة الفرد والمجتمع، وتقوية العلاقة بين الفرد وربه[٥].

إن قيم المجتمع الإسلامي تنبثق من مصدرين أساسيين هما: كتاب الله وأحاديث وسنن الرسول الكريم محمّد صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومين عليهم السلام والحقيقة أن الفلسفة الأخلاقية في منظور الإسلام ذات شقين هما[٦]:

١ـ الشق النظري: الذي يحدد الإطار الفكري أو ما يصلح تسميته بالنظرة الأخلاقية كما تبدو في القرآن الكريم والسنة الشريفة .

٢ـ الشق العملي: وهو الذي يبين ممارسات العملية الأخلاقية في عالم الواقع، أي أن

الإسلام قدم مبادئ أخلاقية عامة تألف فيما بينها لتكون في مجملها نظرية تشكل القاعدة الأساسية لكل الممارسات العملية.

ولم يبق جانب من جوانب الحياة الإنسانية إلا وقد صيغ في الإسلام صياغة أخلاقية: الجانب النظري والجانب العملي، العقائد والعبادات والجانب الاجتماعي إلى غيرها من الجوانب ذات العلاقة بالإنسان، وجعلت تلك الجوانب كلها بشكل متكامل، فلا تبقى قضية من قضايا الإنسان إلا وقد بين له ما ينبغي أن يفعل فيها، وما هو الأعدل والأقوم! إن تلك القضايا صيغت من أجل بقاء الإنسان في دائرة مكارم الأخلاق مجتنباً سيئها، مقبلاً على طيبها[٧].

لقد ربط الإسلام ربطاً محكماً بين العقيدة، والعبادات والأخلاق، فالعقيدة الصحيحة لابد أن تعبر عن نفسها في العبادة الخاشعة الصادقة وهذه لابد أن تؤدي إلى ممارسة عملية للفضائل الأخلاقية[٨].

وهو المستشف من قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون، كُبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون)[٩] وهو ما نلحظه في تأكيدات عدل القرآن الإمام علي عليه السلام بقوله: (الإيمان والعمل إخوان توأمان ورفيقان لا يفترقان)[١٠] وذلك لان أهم ما يميز القيم الإسلامية بشكل عام والقيم الأخلاقية بشكل خاص، ربط العقيدة بالعمل والقول بالفعل، والنظرية بالتطبيق، ولا قيمة لأيمان لا يتبعه عمل صالح يبرهن على صحته[١١].

فالإيمان هو أساس الأخلاق الفاضلة، وهو المعين الذي تنهل منه الأخلاق الإسلامية، والإيمان لا يكون إيماناً حتى ينبع من القلب والضمير عن رضىً خالص، ولا خير في كلمة ينطق بها اللسان زوراً ويكفر بها القلب، فذلك هو النفاق الذي يعده الإسلام شراً من الكفر الصريح.

ولذا فالأساس الأول في القرآن الكريم هو الإيمان بوجود إله واحد، فرد صمد لا يشاركه في ملكه أحد يتصف بصفات الكمال جميعها، وله الأسماء الحسنى، والإسلام حدد معالم الأيمان تحديداً دقيقاً لا يقبل التعطيل والتشبيه وحدث ذلك في الأديان الأخرى التي سبقت الإسلام، التي كانت تؤكد توحيد الربوبية، الذي يعبر عن توحيد العبادة أي عبادة الخالق وحده لا شريك له، في الأنداد والأوثان والأشخاص .

فجوهر الأخلاق في الإسلام يقوم على الأيمان بالله وحده لا شريك له وبما أمر به تعالى من قواعد لأدب النفس وقواعد السلوك للفرد والجماعة . فالإيمان بالله يتضمن بكل ما جاء به، وحين ينبع الخير من ضمير المؤمن ويتجرد من كل نوازع الأنانية وحب المنفعة وغرائز الشر الكامنة في النفس البشرية، يكون الدين سياج الأخلاق[١٢] حيث نلحظ أن (حب الله سبحانه يدخل في صميم القضايا السلوكية، خاصة تلك التي تتعلق بمظهر الإنسان، وحسن احتكاكه مع الناس.. فيلتفت القرآن الكريم إلى قضايا لا يلتفت إليها أي مفكر أو فيلسوف أو صاحب مذهب..)[١٣].

ولهذا فإن نظرة سريعة إلى عالمنا الذي نعيش فيه تُبين لنا ـ أياً كان الاتجاه الذي ننظر إليه ـ أن منظومات القيم الأخلاقية في العالم تتفكك تفككاً متزايداً، ولا غرابة في ذلك، إذا ما تبينا أن أثر الأديان في العصر الحديث قد تراجع تراجعاً ملحوظاً، هذا أمر ينعكس بصورة مباشرة على منظومة الأخلاق في المجتمع، لأن مصدر القيم الأخلاقية في الأصل هو الدين كما تبين.

والخلاصة: إن القرآن ليس عملاً فلسفياً، بمعنى أنه ليس ثمرة فلسفية، وهو لا يستخدم طُرق الاكتساب الفلسفي، بالإضافة إلى أنه لا يتبع كذلك طُرق التعليم التي يتبعها الفلاسفة، وهي طرائق المنهج العقلي، التي تقوم على: (التعريف، والتقسيم، والبرهنة، والاعتراضات، والإجابات)؛ وهي كلها أمور متلاحمة دون جدال، ولكنها لا تؤثر إلا على جانب واحد من النفس، وهو الجانب العقلي، على حين إن للقرآن منهجه الذي يتوجه إلى النفس بأكملها؛ فهو يقدم إليها غذاءً كاملاً، يستمد منه العقل، والقلب، كلاهما، نصيباً متساوياً ومرتكزاً لا يمكن الانفكاك منه في أي ظرف كان ■

(١) ظ: حسين فوزي النجار، نظرية الأخلاق في الإسلام، مجلة العربي، العدد ٢١٧، كانون الأول، الكويت، ١٩٧٦، ص١٨.
(٢) ظ: عمر الشيباني ومحمد التومي، تطور النظريات التربوية، مطبعة القلم، تونس، ١٩٨٢، ص١٠٤.
(٣) ظ: آمال حمزة المرزوقي، النظرية التربوية الإسلامية ومفهوم الفكري التربوي الغربي، شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر، السعودية، ١٩٨٢، ص٣٣.
(٤) ظ: عبد الله ناجح علوان، تربية الأولاد في الإسلام، دار السلام للطباعة والتوزيع، بيروت، ١٩٨١، ص ٤٠٦.
(٥) ظ: إبراهيم مدكور وآخرون، معجم العلوم الاجتماعية، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٧٥، ص٤٠.
(٦) ظ: عادل العوا، قضايا القيم في الفكر التربوي الإسلامي، الأصول والمبادئ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٩٨٧م، ص٤٢٢.
(٧) ظ: سعيد حوى وهبي سليمان والفالوجي، دراسات منهجية هادفة حول الأصول الثلاثة: الله، الرسول الإسلام، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٩، ص٣٢٢.
(٨) ظ: عبد المجيد مسعود، القيم الإسلامية التربوية والمجتمع المعاصر، قطر، ١٩٩٩، ص١٢٣.
(٩) سورة الصف، ٣. لم يكثر البحث بالاستشهاد بالآيات المباركة؛ وذلك لكونه ليس في مقام البحث التفسيري أو الدلالي فاقتضت الإشارة بما يسمح به المقام.
(١٠) علي محمد أللّيثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، تحقيق: حسين الحسيني البرجيدي، دار الحديث، (دت)، ص٢٢.
(١١) ظ: عمر الشيباني ومحمد التومي، تطور النظريات التربوية، مطبعة القلم، تونس، ١٩٨٢، ص٢٤١.
(١٢) ظ: حسين فوزي النجار، نظرية الأخلاق في الإسلام، ص١٥.
(١٣) زهير الاعرجي، الأخلاق القرآنية، دار الزهراء، بيروت، ١٩٨٧م، ٤٦/٢ .

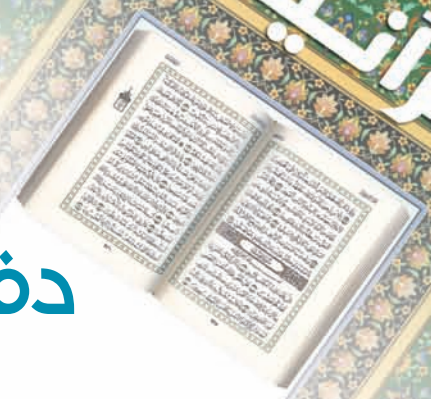

دفع تهمة الضلالة عن الرسول صلى الله عليه وآله

قراءة تحليلية في سورة الضحى

أ. م. د. سيروان عبد الزهرة الجنابي •
كلية الآداب/ جامعة الكوفة

ينابيع

ثمة خلاف طويل وجدل واسع في مسألة تملُّك الرسول محمد صلى الله عليه وآله لماهية العصمة؛ إذ وقف الأمر فيها بين مؤيدٍ لها ومثبتٍ وبين رافضٍ لها ومنكرٍ لأصلها؛ فمنهم من قرر العصمة له في لحظة تلقيه الوحي وابلاغه الى الناس فحسب، فالعصمة والحال هذه وقتية مرهونة بايصال وحي السماء الى البشرية لا غير، وفريق اخر نفى وجود العصمة البتة للرسول فهو غير معصوم في جميع احواله، ومذهب ثالث يرى ان العصمة تلتحق بالرسول بعد بعثته اما عصر ما قبل البعثة للرسول فهو مجرد فيه من العصمة بعيد عنها على حين رأى رابع بان الرسول معصوم منذ لحظة نزوله على الارض وحتى رفعه منها.

ومن أجل تمحيص الحقيقة والسعي وراء استكشاف الحق واثبات العقيدة الأصل في هذا النطاق الفكري سنلجأ إلى قراءة عصمة الرسول محمد صلى الله عليه وآله على وفق المقررات الخطابية التي أثبتها النص القرآني نفسه؛ فإذا كان هذا النص المعجز يمثل العامل الحسم بين المتردد فيه والمقطوع بأمره وينظر إليه على أنَّه

المنطـق الفصل في تحديـد المعتقد من انتفائـه؛ فإنَّه يمكن القول إنَّ عملية إثبات عقيدة العصمة للرسول الأعظم من طيات النـص المعجز؛ ستعد - والحـال هذه- وثيقةً سـماويةً قاطعةً وشـهادةً إلهيةً حقّةً لا ترقى إليها شـائبة أو يدنو منها تردد أو شك البتة.

وتأسيسـاً على هذا المنطلق سـيُقرأ نـص سـورة الضحـى علـى وفـق عامل الإثبات والتثبيت لعصمة الرسـول والرد علـى الشُّـبهات التي أثيرت على مسـألة الإقـرار بتلك العصمـة وذلك فيما يخص نسـبة (الضلالـة) إليه تحديـداً؛ لأنَّ هذه الشُّـبهة تعد من أقوى التهـم التي وجِّهت للرسول محمد صلى الله عليه وآله على وجه الإطلاق؛ إذ عَمَدَ معتنقو درء العصمة عن الرسول إلى اتباع حيثية التقاط دلالة ضلالة الرسـول الكريم من سورة الضحى، وقراءتها على أنَّها إشارة تدل على ضعف القول بعصمته؛ علـى حين أنَّ المنطق الذي سـنُحَكِّمُهُ في هذا النطاق ينصُّ على إقرار هذه العصمة وذلك باتباع حيثية منهـج تحليل الخطاب القرآني نفسه التي وردت فيه الشُّبهة على الرسـول أو ما يُتَصوَّرُ بأنَّها شُـبهة والرد علـى المعترض من ذات النـص المُتَخَذِ وسـيلة لنفي العصمة وبهذا سنقوم بعملية توظيف منهج القراءة المعكوسـة لإثبات الغاية المنشودة.

من هنا سـينطلق هذا الجهـد العلمي لتحقيق منجز منشـود يسعى إلى ترسيخ

مبدأ العصمة للرسول الأعظم لننفتح -بعد التأسيس لهذا المنجز- بالقول بعصمة الأنبياء والرسل جميعاً، أما داعي اختيار إثبات العصمة للرسول محمدﷺ دون غيره فإنها تكمن في أمرين:

الأول: إنَّ النبي محمدﷺ يعد خاتم الأنبياء وأشرفهم فكان إقرار العصمة إليه دون غيره ابتداءً يعد من باب الأوْلى على وفق المنطق العقلي؛ فضلاً عن أنَّ الرسول الأعظم كان من أغزر الأنبياء شُبهة على عصمته لكثره الأحداث التي عاشها والمخاضات التي مرَّ بها في حياته الرسالية ولكثرة الأعداء الذين تساندوا على إيقاف إرادة السماء وإقصاء المعجز عمَّن آمنَ به.

والثاني: يكمن في أنَّ إثبات العصمة لأي نبي ستعدُّ - بالضرورة - إثباتاً للعصمة لسائر الأنبياء من دون استثناء لأنَّهم يقفون من منظور السماء على مسافة واحدة من حيث المكانة والتعامل والتسديد الإلهي؛ فما يجري على الواحد يجري على الكل بحكم تساوي مناط التكليف واتفاق نطاق المهمة والغاية المراد تحقيقها.

قراءة دلالية في نسبة الضلالة إلى الرسول(ص)

إذا كان السائد في منطق مصنفات علوم القرآن والمتسالم عليه في مدونات التفسير القرآني إنَّ سورة الضحى قد نزلت تسلية لنفس الرسولﷺ فان هذا يعني باللزوم أنَّ كلَّ آية فيها قد بنيت صياغة ومضمونا على أساس توجيه الخطاب للرسولﷺ نفسه؛ إذ روي في داعي نزول هذه السورة الكريمة بان مرد النزول يؤول إلى أن امرأة من المشركين أقبلت على الرسولﷺ بعد أنْ أُرجئ عنه الوحي مدةً ليست بالقصيرة، فقالت له: يا محمد؛ ما أرى شيطانَكَ إلاّ قد قلاك[1]، فنستشف من هذه الرواية دلالة تؤكد أنَّ الآيات مُساقة للردِّ على هذا الزعم ولتوثيق اطمئنان الرسول بمساندة السماء له من جهة وأحقية دعواه من جهة أخرى.

إذا كانت النصوص في هذا الموضع من التعبير القرآني كلها تتمحور على مُخاطبة الرسول تنصيصاً من أجل إشاعة سمة السلامة والراحة في نفسه فإنَّه من المحال بمكان أنْ نرتضي مقولة نسبة الضلالة إلى الرسول في قوله تعالى من سورة الضحى (**وَوَجَدَكَ ضَالّاً فَهَدَى**)[2] بغاية إخراجه من نطاق العصمة ووصمه بجريرة الكفر التي تعد أكبر مثلبة يمكن أنْ تُلصَق بإنسان؛ حيث اتفق بعض المفسرين على أنَّ القول بالضلالة في هذا الموضع هو تنصيص على كفر الرسول قبل البعثة؛ إذ يعتقدون بـ(**أنَّه كان كافراً في أول الأمر، ثم هداه الله وجعله نبياً**)[3]، ومن الذين اعتنقوا هذا المنحى الكلبي إذ يقول: ((**وجدك ضالاً**) يعني كافراً في قوم ضلال فهداك للتوحيد)[4] وقد وافقه على هذا السَّدي بلا تردد أو إعادة نظر[5].

إنَّ هذا التوجيه التفسيري لمفردة (الضلالة) في الآية الكريمة يمكن أن يُقرَأ بحيثية تحليلة أخرى إذ نجد أنَّ دلالة الضلالة في هذا الموطن لا يراد منها دلالة الكفر كما حَسَبَ بعضُ المفسرينَ مما يفضي إلى القول بأنَّ دلالة سياق الآية ههنا يحمل دلالة التوبيخ؛ بل نرى أنَّ دلالة السياق المهيمنة على هذا النص القرآني إنّما هي المدح للرسول وهذا هو دأبُ

مضامين الآيات جميعاً في هذه السورة؛ ويعضد ذلك ما نُقِل عن الإمام الرضا عليه السلام؛ من أنَّ دلالة الضلالة في هذه الآية تعني (ضالاً في قوم لا يعرفونَ فَضلَكَ؛ فهداهم الله إليك)[٦] إنَّ إعادة النظر في الآية على وفق مقولة الإمام يقدح في الذهن ملمحا دلاليا يمكن الاستناد عليه في تبرئة الرسول من تهمة الكفر؛ ذلك بأنَّ لفظة (ضالاً) في الآية قد أعطت معنى اسم المفعول لا اسم الفاعل، وان هذه اللفظة مما تشترك فيها الدلالتان: دلالة المفعول ودلالة الفاعل، فتقول: رأيتُ رجلاً ضالاً عن الطريق؛ أي وقع عليه الضلال، فهو اسم مفعول، وتقول: رأيتُ رجلاً ضالاً للناس؛ أي يقوم بضلالة الناس فهو مُضِلٌ، وبهذا ينكشف المعنى الذي يدل على أن قوم الرسول هم الضالون حقيقة، وان الرسول هو المُضَيَّع فيهم، فهداهم الله إليه فكان وحيداً لا أحد معه على دينه ولولا الله تعالى ما التجأ إليه الخلق مهتدين بالغاية؛ وهذا القول يؤدي الى تقوية معنى إكرامه تعالى للرسول صلى الله عليه وآله، وبلسمة نفسه وفي هذا مدح واضح له صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله.

ويؤيد دلالة تنزيه الرسول ومدحه في هذه الآية سمةٌ خطابيةٌ غايةٌ في الأهمية ألا وهي سمة الحذف في الآية؛ إذ نجد أنَّ الفعل (هدى) قد ورد محذوف المتعلق مما يفضي إلى عدم نسبته إلى الرسول الأعظم تحديداً؛ ذلك بان الحذف يورث الإبهام الذي يؤول إلى القول بوجود الإطلاق في النص؛ وتوظيف دلالة الإطلاق في حذف متعلق الفعل (هدى) هو الأنسب في نطاق إثبات نسبة النزاهة للرسول والأرسخ في بيان براءته صلى الله عليه وآله؛ ذلك بأنه سبحانه لو كان قاصداً من الضلالة الرسول نفسه وانه قد هداه إلى رشده لأثبت كاف الخطاب في قوله (هدى) فتغدو العبارة (ووجدك ضالا فهداك)؛ بيد أنَّ وقوع الحذف دلَّ على إبعاد هذه الشُّبهة عن الرسول وهذا يسوغ القول بان المراد هو ضلالة الناس عنه وهداية الله إليهم به؛ بل نجد أنَّ الحذف لم يتوقف عند هذا الحد وإنما نلحظه قد امتد على سائر الآيات الأخرى في السورة، وقد سيق كله موظفاً من اجل دفع نسبة الإساءة إلى الرسول من كونه ضالا حيث ترد الآيات الثلاث ابتداءً وهي قوله تعالى (**أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى * وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى * وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى**)[٧] متضافرةً لتدعم كل منها الأخرى، فتشكل روافد دلالية تصبُّ في الحيز الدلالي الأكبر الذي يهيمن على السورة كلها باستحكام وهو تنزيه الرسول صلى الله عليه وآله وتوثيق العصمة له باستعمال حيثية مدحه وتسلية نفسه، ذلك بان تسديد الله للرسول يبعده عن الذنب مطلقا فمازال الرسول معتقدا اعتقادا راسخا بالله تعالى وبرسالته فان هذا يمنحه الداعي إلى العصمة ألا هو الحكمة المانعة من المعصية بالضرورة.

فعند التأمل نجد أنَّ الخطاب القرآني في هذه الآيات الثلاث يُستَهلُ باقتران أسلوب الاستفهام بالنفي، والاستفهام

في هذا المقام لا يتضمن إشارة إلى جهل المخاطب أو أنَّه في صدد انتظار الإجابة؛ ذلك بأنَّ الحيثية الاستفهامية لم تُوظَّف في هذا النص لأداء الدلالة الحقيقية التي وُضِعَتْ لها أساساً في اللغة، فنجدها قد انزاحت عن دلالة الأصل كما هي الحال للنفي الذي يليها، إذ أُفرِغ من محتواه الدلالي الأساس أيضاً، وان وروده مقترناً بالاستفهام هو الذي سبب إقصاء كل أسلوب عن وظيفته، وباقترانهما معاً وُلِدَتْ دلالةٌ جديدةٌ هي الاستفهامُ التقريري الذي حَوَّل النفي إلى الإثبات والاستفهام إلى علم، والدليل أنَّه عَطَفَ نسقاً على هذه الآية فعلين مثبتين من غير استفهام، وبهذا نلحظ أنَّ نمطية الأسلوب اللغوي لهذا التركيب ابلغ تأثيراً في نفس الرسولﷺ وأمثل حضوراً في ذهنه وأكثر إيماناً بأنَّه تعالى سيعضده على سبيل الدوام وسيقلده الحكمة لشدة إيمانه؛ لأنَّ مقتضى التركيب قد جاء ليكشف عن جملة من الأمور لا لإنكار الرسولﷺ لها؛ بل لأنَّها تمثل تجارب حياتية ملموسة عندهﷺ فكأنَّه سبحانه يبتغي منه تقريراً بذلك ليتأكد في نفسه الشريفة أنَّ اللّٰه تعالى هو السند والعضد له في الأزمنة كافة، فجاءت الآيات هذه برمَّتها صفة تأكيدية لتُتابع الآيات السابقة عليهن وترسخ ما دارت عليه من معنى وسيظهر أنَّ الآيات اللاحقة تسير بالمسار نفسه.

فحينما نقف على المحذوف في نهاية كل من الآيات الثلاث المذكورة وهو المفعول به للفعل (آوى، وهدى، وأغنى) نكتشف أنَّ علَّة الحذف في هذه الأفعال مُنشأة على دعامتين:

الأولى (نفسية) لأنَّ في الحذف إكراماً لنفس الرسولﷺ بعدم ذكر التفضل عليه صراحةً من قِبله تعالى؛ وذلك فيما لو سلَّمنا بوقوع هذه الأفعال على الرسول تحديداً باستثناء الفِعل (هدى)؛ إذ لا يمكن البتة أنْ يُذكِّرَ اللّٰه سبحانه رسولهﷺ بأنَّه كان كافراً ثم هداه تعالى إلى الإيمان لأنَّ هذا يتنافى والقول بتفضيله وإكرامه وتسلية نفسه الزكية؛ ذلك بانَّ السائد في الخطاب التكريمي هو اتسام الكلام بسمة إظهار الفضل الذي يستحقه من المتكلم من جهة وعدم المساس بالمُتحدَّث عنه كإشعاره بالتقصير أو المنقصة من جهة أخرى وإلا خَرَجَ الخطاب من نطاق التكريم ودَخَلَ في حيز التوبيخ والتنكيل؛ بهذا نقول إنَّ الحال في الآية لا يوافق القول بدلالة الكفر للفظة (الضلالة) لأنَّ هذا القول أدخل في اتسام الخطاب بدلالة التوبيخ منه إلى القول باتسامه بدلالة التكريم والتفضيل والأفضلية له على غيرهﷺ.

والثانية (إدراكية) لإثارة العقل بحثاً عن الغاية المرادة من معنى الحذف، فقد يكون المقصود الرسولﷺ في الفعلين (آوى، وأغنى)، وقد لا يُراد الرسول البتة؛ بل المراد أنَّ اللّٰه آوى الناس وهداهم وأغناهم بك بناءً على مقولة الإطلاق من الحذف وهي الأوْلى اتفاقاً والدلالة السياقية المؤسَس عليها النص؛ فقد أُثر عن الإمام الرضاعليه السلام أنَّه قال في معنى لفظة (اليتيم) بأنَّها (تعني فرداً لا مثل لك في المخلوقين فآوى الناس إليك)[٨] وأغناهم بك لأنَّك تمثل الأنموذج الأسمى لما تبتغيه السماء من الإنسانية عقلاً ويقيناً وسلوكاً وبهذا فإنَّ اللّٰه تعالى يكفل هذه

المضامين الثلاثة لمن أحبكَ ونهجَ سبيلك.

وعند النظر المتأمِّل في النصوص نجد ثمة واصلاً دلالياً معيناً بينهما من جهة وواصلاً عاماً يصلهما بصدارة السورة من جهة أخرى، فأما ما بينهما فنلحظ أنَّ اليتيم له حاجة إلى من يكفله إعانة وتربية، وأنَّ الضال يستهدي طالباً المساعدة للوصول إلى الطريق الصواب، وأنَّ العائل يفتقر إلى معين يحفظ ماء وجهه ويكفيه حاجته؛ وبهذا نرى أنَّ فكرة هذه النصوص تتمحور على معنى مؤداه طلب الإعانة من المُقتَدِر وحفظ نفس الإنسان من الذلة وإرشاده إلى الهداية، وهذا ما يريد سبحانه إقراره لرسولهﷺ، فإذا ما اتَّصف الرسولﷺ بهذه الصفات الخلقية فلا يكون إلا حكيماً لأنَّ هذا النمط من الصفات الخلقية إنّما تصدر من الحكيم الذي يتَّسم بالعصمة ولا يؤتاها إلا ذو حظ عظيم.

يزاد على هذا أنَّ المعطى المعجمي للفظة (الضلالة) يسند الإقرار بمقولة الإمام الرضاعليه السلام التي أسندت الضلالة إلى الناس وان هذا المضمون هو الأحرى بالإتباع؛ إذ ورد في بطون المعجم العربي أنَّ من دلالات لفظة (الضلالة) هي الخفاء والتواري والغيبة عن الأعين[٩]، يقول الخليل: (وماءٌ ضَلَلٌ: يكون تحت الصَّخْرَةِ لا تُصيبُه الشمس)[١٠]، ويقال (ضلَّ الشيءُ إذا خفيَ وغابَ عن الأعين)[١١]، بهذا يكون (الإنسان الضال هو الإنسان المخفي ذكره، المنسي اسمه، لا يعرفه إلاّ القليل من الناس، ولا يهتدي كثير منهم إليه، ولو كان هذا هو المقصود، يكون معناه أنَّه سبحانه رفع ذكره وعرفه بين الناس عندما كان خاملاً ذكره منسياً اسمه)[١٢] وهذا هو معنى الضلالة المنسوب إلى الرسولﷺ في الآية؛ إذ المراد منه ليس ضلالة الرسول بمعنى عدم الهداية؛ بل المبتغى هو نسبة الضلالة إلى الرسولﷺ من حيث لا يعرفه الناس ولم يهتدوا إليه

حقوق الزوجة . .

عن رسول اللهﷺ: ما زال جبرئيل يوصيني بالمرأة حتى ظننت أنه لا ينبغي طلاقها إلا من فاحشة مبينة.

وعن الإمام زين العابدينعليه السلام: وأما حق الزوجة فأن تعلم أن الله عز وجل جعلها لك سكناً وأنساً فتعلم أن ذلك نعمة من الله عليك فتكرمها وترفق بها، وإن كان حقك عليها أوجب فإن لها عليك أن ترحمها.

وعن الإمام الصادقعليه السلام: إن المرء يحتاج في منزله وعياله إلى ثلاث خلال يتكلفها وإن لم يكن في طبعه ذلك: معاشرة جميلة، وسعة بتقدير، وغيرة بتحصن.

وعن رسول اللهﷺ: قول الرجل للمرأة إني أحبك لا يذهب من قلبها أبداً.

* * * * *

إلا بتعريف الله إليه، فضلالة الرسول هو عدم معرفته من الناس وضلالة الناس هي عدم اهتدائهم إلى الرسول صلى الله عليه وآله نفسه؛ من هنا تكون الضلالة (عدم الاهتداء) صادرة منهم لا من الرسول صلى الله عليه وآله، والرسول ضالٌ فيهم من حيث عدم معرفتهم له، وسندُ هذه الوجهة الدلالية هو قوله تعالى (**أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ * الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ * وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ**)[١٣] فرفع ذكر الرسول صلى الله عليه وآله هو هداية الناس إليه من بعد ما كانوا ضالين عنه؛ (وعلى هذا فالمقصود من (الهداية) هو هداية الناس إليه لا هدايته)[١٤] مطلقاً.

من هنا نستدل على أنَّ حيثية صياغة النسيج الخطابي للنص القرآني المزمع اتهام الرسول فيه بالضلالة تدل دلالة بيِّنة على أنَّ الرسول بريء من هذا الاتهام سواء أكانت تلك الحيثية الخطابية تكمن في الطريقة البارعة لاستعمال المفردة أم في كيفية توظيف المقرر النحوي أو في الهيأة التركيبية التي يُساق عليها النص؛ ففي كلِّ وجهٍ صياغي لخطاب النص ثمة مكمن إسنادي يوصِل المتلقي إلى قناعة تامة للقول بعصمة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله بلا تردد أو شك في ذلك.

وبهذا نُرجِّحُ حمل دلالة لفظة (الضلالة) في الآية على اسم المفعول دون اسم الفاعل ليكون المراد أنَّ الناس هي التي ضلَّت عن الرسول تأسيساً على مقولة الإمام الرضا عليه السلام إذ إنَّ توجيهه الدلالي هذا يعد تبرئة للرسول صلى الله عليه وآله من الضلالة البتة ولا ضلالة في الرسول صلى الله عليه وآله البتة ■

(١) ينظر: القرطبي: تفسير القرطبي:٢٠ /٩٣، والزمخشري: الكشاف:٤/٧٧١، والحائري: مقتنيات الدرر:١٢/١٦٣، ومغنية: الكاشف: ٧ / ٥٧٧

(٢) سورة الضحى: ٧.

(٣) الرازي: التفسير الكبير: ٣١/١٩٥، والطبري: تفسير الطبري: ٣٠/٢٣٢، والقرطبي: تفسير القرطبي:٢٠/٩٩.

(٤) ينظر:الرازي: التفسير الكبير: ٣١/١٩٥.

(٥) ينظر: م.ن: ٣١/١٩٥.

(٦) الفيض الكاشاني: الصافي:٥/٣٤١، وينظر: الرازي: التفسير الكبير: ٣١/١٩٦، القرطبي: تفسير القرطبي: ٢٠ / ٩٩ .

(٧) سورة الضحى:٦ -٨ .

(٨) القرطبي: تفسير القرطبي: ٢٠/ ٩٧ .

(٩) ينظر: الرازي: مختار الصحاح: ٤٠٣.

(١٠) الفراهيدي: العين:٧/١٠.

(١١) جعفر السبحاني: عصمة الأنبياء في القرآن الكريم: ٢٧٦.

(١٢) م.ن: ٢٧٦.

(١٣) سورة الانشراح: ١- ٤.

(١٤) جعفر السبحاني: عصمة الأنبياء في القرآن الكريم: ٢٧٦.

جامع بطرسبورغ الكبير في موسكو

في العهد الســوفيتي عندما كان الترويج للديــن محظوراً، كان العديد من الصروح الدينية، بما في ذلك المساجد قد تعرض إلى الغلق أو الهدم . وحتى عام ١٩٩١ لم يتجاوز عدد المساجد في كافة أنحاء الاتحاد السوفيتي ١٠٠ مســجد، وفي عاصمة روسيا موســكو وحدها يوجد حالياً ٥ مساجد. وهذا المسجد افتتح في عام ١٩١٣، لكنه توقف عن العمل في الفترة ما بين عامي ١٩٢٧ - ١٩٣٠ وفي الفترة ما بين عامي ١٩٤٠ - ١٩٥٦ ■

تحقيقات

طريق الحج العراقي (الكوفة - مكة المكرمة).. متابعة ميدانية

محمد عبد الغني السعيدي •

شهدت الجزيرة العربية في العصر الإسلامي ظهوراً وتطوراً في سبعة طرق رئيسة للحج والتجارة، هي طريق الحج الكوفي، وطريق الحج البصري وطريق الحج الشامي، وطريق الحج المصري، وطريق الحج اليمني الساحلي وطريق الحج اليمني الداخلي، وطريق الحج العماني.

تتصل هذه الطرق مع بعضها البعض في نقاط رئيسة أو بواسطة طرق فرعية، وعلى مر العصور نالت طرق الحج عناية فائقة من قبل الدول و الأفراد، وبعضها كان مستخدماً حتى عهد قريب والبعض آخر اندثر بسبب الظروف المناخية والاقتصادية والهجرات السكانية.

أقيمت على طرق الحج منشآت عديدة مثل المحطات والمنازل والمرافق الأساسية من برك وآبار وعيون وسدود وخانات ومساجد وأسواق كما أقيمت على هذه الطرق الأعلام والمنارات والأميال التي توضح مسار تلك الطرق وتفرعاتها.

يعد طريق الحج من الكوفة إلى مكة المكرمة من أهم طرق التجارة والحج في العصر الإسلامي وقد عرف هذا الطريق فيما بعد باسم (الدرب السلطاني) و(طريق الحج العراقي) إضافة إلى (درب زبيدة) نسبة إلى زبيدة زوجة هارون الرشيد، وكانت لها أعمال كثيرة في إقامة بعض المنشآت على هذا الطريق.

لقد كان هذا الطريق معروفاً قبل الإسلام، حيث كانت الحيرة عاصمة

مسجد الكوفة

بركة عذيب الهجانات

قصر (أم القرون)

المنـاذرة تقع بالقرب مـن الموقع الذي قامت فيه الكوفة، وربمـا كانت القوافل التجارية من مكة والمدينة تتجه إلى الحيرة عبر هذا الطريق حيث توجد على الطريق مناهـل للميـاه قبل الإسـلام، توقف في بعضها الجيش الإسـلامي بقيادة سعد بن أبي وقاص قبل دخولـه العراق ومن هذه المناهل منطقة زرود[١] ومنطقة الثعلبية[٢] ومنطقـة شـراف[٣] ومنطقـة العذيب[٤] والقادسية[٥].

غيـر أن الطريـق انتظم اسـتخدامه بعـد فتح العراق وانتشـار الإسـلام في المشـرق فتحولت بعض مناهـل المياه وأماكـن الرعـي والتعديـن (منطقة مهد الذهـب فـي السـعودية) الممتـدة على الطريق إلى محطات رئيسة وبدأ الطريق يزدهر بالتدريج منذ صدر الإسلام حتى نهايـة العصر الأمـوي، وبانتقـال مركز الخلافة من الشام إلى العراق في العصر العباسي (١٣٢هـ / ٦٥٦م) أصبح الطريق حلقة اتصال مهمة بيـن بغداد والحرمين الشـريفين وبقية أنحـاء الجزيرة العربية وأعطى العباسـيون اهتماماً بتامين طرق المواصـلات وبالأخص طريـق الكوفة - مكة كمـا كان للأمراء والـوزراء والقادة والوجهـاء إصلاحات أخـرى كثيرة على الطريق.

وفي ضـوء المعلومـات المتوفرة في المصـادر التاريخيـة والجغرافية نجد أن طريـق الحج العراقـي، خُطّط مسـاره بطريقة علميـة وهندسـية متميزة حيث حـددت اتجاهاته وأقيمت علـى امتداده المحطـات والمنـازل والاسـتراحات ورصفت أرضيته بالحجـارة في المناطق الرمليـة والموحلة ونظف مـن الجلاميد

الصخرية والعوائق في المناطق الوعرة والصخرية، وزود بالمرافق الضرورية من المنشآت المائية كالسدود والآبار والبرك وأقيمت على امتداده العلامات التي توضح مسار الطريق كالأعلام والمنارات والأميال (أحجار المسافة) والمشاعل والمواقد ليهتدي بها المسافرون ليلا ونهارا.

لقد كشفت الحفريات الأثرية عن أنماط من القصور والتحصينات والمنازل والمساكن والمساجد في محطات الطريق التي كانت تخدم سكان هذه المناطق وقوافل الحجاج والتجار والمسافرين وتوفر لهم هذه الأماكن ما يحتاجونه من مأكل ومشرب وملبس و أوان وأعلاف لدوابهم، كما كانت الأسواق قائمة في كثير من محطات الطريق ومن أشهر المواقع الأثرية على الطريق والتي كانت تمثل محطات رئيسة كبيرة هي:

زبالة[٦] والثعلبية وفيد[٧] وسميراء[٨] والنقرة[٩].

أقيمت على امتداد الطريق برك للمياه حفرت وبنيت على مسافات متفاوتة بعضها بالقرب من المحطات والمنازل والبعض الأخر في أماكن نائية عنها ولا يزال معظم تلك البرك واضحة للعيان بمعالمها وتفاصيلها المعمارية الدقيقة والبعض الأخر قد طمرتها الرمال وتتنوع مساحات البرك وأشكالها حيث صمم بعضها بشكل دائري والبعض الأخر جاء مربعا ومستطيلا في التخطيط.

ويبلغ طول الطريق من الكوفة وحتى مكة المكرمة حوالي ٧٥١ ميلا أي حوالي ١٢٠٠كم، وتوضح الرُقُم الفخارية والخزفية والزجاجية والعملات

منارة (أم القرون)

بركة المغيثة

بركة حمد أو البريجة

قصر الحمام أو حمام سعد

حوض السباحة في منطقة الحمام

بركة مسيجد

والكتابات والنقوش الإسلامية مراحل استخدام الطريق خاصة في العصور الإسلامية الأولى.

قبل التكلم عن هذا الطريق لابد من التطرق إلى طريق مهم آخر في المنطقة ذاتها إنه طريق (مكة – الحيرة) الذي كانت أهميته بالغة جداً، حيث كان يصل إلى الحيرة ومنها يتفرع إلى الأُبله (البصرة) ومنها إلى كاظمة (الكويت) أو إلى خراسان ومنها إلى بلدان آسيا. وكانت الحيرة قد تأسست في أوائل القرن الثالث الميلادي عند انهيار نظام الري في اليمن، مما أضطر بالعديد من القبائل إلى النزوح شمالاً، استقر قسم من هذه القبائل حول مكة واتخذ قسم أخر من سوريا وطنا لهم، بينما رحل من تبقى وسكن بالقرب من بابليون القديمة، التي أصبحت فيما بعد عاصمة الأخمينيين (٢٦٨- ٦٠٧م) وسميت فيما بعد بالحيرة[١٠]، حيث كان هذا الطريق من أهم الطرق التجارية بالنسبة للفرس مع شبه الجزيرة العربية.

بعد تمصير مدينة الكوفة والتي أصبحت مركزا للعمليات العسكرية، عرف هذا الطريق بطريق (مكة ـ الكوفة).

وقد ازدادت أهمية هذا الطريق خلال الفتح الإسلامي وما بعده حيث أصبح طريقاً رسمياً، وفي نفس الوقت أُعتبر طريقاً معتمداً للحج البري حيث يربط العراق بآسيا والجزيرة العربية.

وبدلا من مرور الطريق من منطقة العذيب إلى الحيرة أخذ منحاً آخر فأصبح من العذيب إلى الكوفة[١١].

وقد سلك الطريق الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام حينما استلم زمام الخلافة

سنة ٣٦ هـ عندما توجه من المدينة إلى الكوفة لاتخاذها عاصمة له وقد توقف في بعض المحطات والمنازل المشهورة على طريق الكوفة ومن هذه المحطات الربذة والثعلبية[١٢].

كما أن الإمام الحسين عليه السلام حينما قدم إلى العراق عام ٦٠ هـ سلك الطريق نفسه وقد توقف(ع) في عدة أماكن منها الحاجر[١٣] وزرود[١٤] والثعلبية[١٥] وزبالة ومن ثم العقبة[١٦].

دور زبيدة في اعمار الدرب

أسهمت زبيدة إسهاما عظيما تجاه طريق الحج والأراضي المقدسة في كل من مكة والمدينة، وبالرغم من أن كثير من المنازل الواقعة على الطريق قد أطلق عليها أسم (زبيدة) كتشريف لها فإنه لا يوجد تقرير شامل ومستقل عن الأعمال الكبيرة التي قامت بها غير تلك الإشارات المتناثرة في مؤلفات الأدباء والجغرافيين والمؤرخين المسلمين.

ويذكر الحربي (أحد الجغرافيين المسلمين الأوائل) إحدى عشرة محطة ومنزلا على طريق الحج مزودة بوسائل حفظ المياه سواء كان ذلك على شكل آبار وأحواض أو خزانات المياه (البرك) أو بإقامة الاستراحات والحصون، كما يشير الحربي أيضا إلى البرك والأحواض وأشكالها بالإضافة إلى القصور والحصون، وجميع هذه المرافق يعود الفضل في إنشائها إلى زبيدة.

ويذكر صاحب كتاب معجم البلدان أن تسعة منازل سبق أن أشار إلى بعضها الحربي كانت زبيدة قد اهتمت بها وهذه المحطات إما رئيسية أو ثانوية وهي:

بركة البيضة أو الطلحات

بركة العمية الأولى

بركة (أبو مسك)

بركة شراف

بركة واقصة

بركة العمية الثانية

١ـ المحدث، وهو منزل يقع على ستة أميال بعد النقرة.

٢ـ العنابة، وهي عبارة عن بركة تقع بين توز وسميراء.

٣ـ بركة أم جعفر، التي تقع بين المغيثة والعذيب.

٤ـ القنيعة، وهي بركة أخرى تقع بين الثعلبية والخزيمية[١٧].

٥ـ الحسنى، وهي بئر تقع على ستة أميال من قروري قرب معدن النقرة.

٦ـ قروري، هذه هي محطة مزودة ببركة وقصر وبئر.

٧ـ الزبيدية، وهي عبارة عن منزل يقع بين المغيثة والعذيب وهذه المحطة مزودة ببركة وقصر (حصن) ومسجد.

٨ـ الهيثم، فهي تقع بين محطتي القاع وزبالة وهي مزودة ببركة وقصر وحصن.

٩ـ وأخيراً يشير ياقوت الحموي إلى بركة أنشأتها على بعد ميلين من (التناهي) وهي محطة تقع بين البطان والثعلبية.

طريق الحج في كتب الرحالة الأوربيين:

١ـ أعطت الرحالة الأوربية آن بلنت وصفا خاصا عن ملامح هذا الطريق حيث قدمت إلى المنطقة سنة ١٨٧٨ ـ ١٨٧٩م وقد ذكرت (في شهر فبراير غادرت منطقة حائل مع زوجها ويلفرد بصحبة قافلة للحجاج العراقيين وقد أعطت وصفا مختصرا للمحطات، وقد صادف وجود كميات هائلة من المياه في البرك الممتدة على طول الطريق بسبب الأمطار ومن البرك التي ذكرتها وعبرت عن إعجابها بدقة تصميمها هي بركة الخضراء ـ بركة العشار ـ بركة الشيحيات ـ بركة الجميمة)، وتقول أيضاً (إن خط

سير الطريق قد نظف من الصخور والجلاميد التي تشكل خطورة على المسافرين بحيث سهل السفر بدون أي خطورة لهم ولدوابهم).

٢- الرحالة الأوربي تشارلز هوبر، سلك هذا الطريق وقد أعطى وصفا مبسطا للطريق وكان معجبا بالهندسة ودقة التصاميم للبرك والآبار الممتدة على طول الطريق، إن الرحالة الأوربيين ومن سبقهم من الرحالة الفرس كان جل اهتمامهم منصب على درب زبيدة من دون الطرق الأخرى وتتجلى أهميته لكونه الطريق الذي يبدأ من النجف ثم يمر بمدينة حائل ويستمر إلى إن يصل إلى محطة (معدن النقرة) والتي يتفرع الطريق فيها إلى فرعين الأول إلى المدينة المنورة والثاني إلى مكة المكرمة[١٨].

٣- يذكر الرحالة بركهارت بعض المعلومات عن حالة الطريق وأوضاع قوافل الحجيج منها أن قوافل الحج الفارسية التي كانت تغادر بغداد عبر منطقة نجد إلى مكة توقفت بسبب اعتراض الوهابيين لقوافل الحج وكان ذلك عام ١٨١٥م، عندما سلكت القوافل الطرق التي تجتاز المناطق الصحراوية حتى الدرعية، وبعد توجه القوافل من الدرعية صوب مكة اضطروا للعودة بعد أربعة أيام فقط بسبب الهجمات التي قامت بها قبيلة شمر[١٩]، كما يروي بأن الحجاج الفرس كانوا أحيانا يمنعون من القدوم للمشاعر المقدسة بحكم مذهبهم الشيعي، خصوصا ما حصل من قبل السلطان العثماني مراد الرابع (١٠٢٣ - ١٠٤٩ هـ) (١٦٢٣-١٦٤٠م) حيث منع حجاج فارس من دخول الأراضي المقدسة وأداء

بركة العقبة

بركة الظفيري

بركة العمية الجلحاء

بركة القاع

بركة الثليمة

بركة الجميمة

الحج لعدة سنوات[٢٠].

٤- الرحالة كريستينا فيلبس جرانت التي زارت الطريق في بداية القرن العشرين تقول: حينما سلكت الطريق، شاهدت أن أحواض المياه الموجودة في نجد قد تعرضت للخراب جراء هجمات الوهابيين، أما الأجزاء الشمالية للدرب فقد تعرضت منازله للتدمير بواسطة قوى غازية أخرى[٢١].

٥- الكابتن ليشمان الذي قام بزيارة لشمال ووسط الجزيرة العربية وكانت زيارته الأولى عام ١٩٠٩- ١٩١٠ والزيارة الثانية كانت عام ١٩١٢.

حيث يقول: (لم أتمكن من مشاهدة جميع محطات ومنازل الطريق ولكن لم أجد أجمل وأدق من بناء بركة الجميمة فقد كانت غاية في الروعة والجمال)[٢٢].

محطات أو منازل طريق الحج من الكوفة إلى العقبة

ذكر ابن خرداذبة وابن رستة وقدامة إن المحطات التي تصل إلى عقبة الشيطان (العقبة) هي عشر محطات فقط وكما يلي: القادسية، العذيب، وادي سعد أو وادي السباع أو السبيعي (اليوم يسمى أم قرون)، المغيثة، مسجد سعد، القراعاء (تسمى اليوم الطلحات)، شراف، واقصة، القبيبات (تسمى اليوم العمية) ثم منطقة العقبة.

في القرن السادس الهجري سجل ابن جبير محطات الطريق بين العقبة والكوفة أثناء طريقه من بغداد إلى مكة وكما يلي: عقبة الشيطان (العقبة)، واقصة، لوزة، القرعاء، منارة أم القرون، العذيب، الرحبة، القادسية، النجف، الكوفة.

أما الباحث موسيل فقد قام برصد محطات الطريق بين الكوفة والعقبة وتحقق من مواقعها وعلى الخرائط الجغرافية الحديثة وكما يلي : الكوفة، النجف، أم القرون، بئر النص، بركة المغيثة، بركة حمد، بركة الحمام، بركة مسيجد، بركة الطلحات، بركة العمية، واقصة، بركة العثامين، قبر بندر البويهي، بركة العقبة.

في حين كتبت الباحثة بربارا فنستر تقريرها عن المناطق بين الكوفة والعقبة :

النجف، الرحبة، أم قرون، بئر النص، مغيثة، بركة الحميد، حمام سعد، مسيجد، الطلحات، عمياء، الشبيكة (ناحية الشبكة الحدودية)، شراف، واقصة، العقبة.

طريق (الكوفة- مكة المكرمة) في الحاضر

اقتضت طبيعة البحث أن أقوم باستطلاع ميداني لهذا الطريق وكان على شكل مراحل وخلال فترات متقطعة حيث دام مدة سبعة أعوام، وقد تمكنت من مسح هذا القسم من الطريق وبوسائل حديثة كجهاز الإحداثيات الجغرافية Geographic Pointing System وتصوير المواقع بآلات التصوير.

والطريق الذي سلكته يتضمن المحطات التي سوف اعرضها كما يلي:

المحطة الأولى، منطقة الرحبة وتبعد مسافة ٢٩ كم عن مركز محافظة النجف.

المحطة الثانية، منطقة عذيب الهجانات (بركة زبيدة) وتبعد مسافة ٤٥ كم عن مركز محافظة النجف.

المحطة الثالثة، منطقة وادي السباع

بركة زبالة

بركة أم العصافير

بركة الشيحيات

بركة الحمراء (الرستمية)

بركة حمد

بركة العشار (البطان)

(أم قرون) وتبعد مسافة ٥٢ كم عن مركز محافظة النجف.

المحطة الرابعة، منطقة بئر النص (البوير) وتبعد مسافة ٦٣ كم عن مركز محافظة النجف.

المحطة الخامسة، منطقة المغيثة وتبعد مسافة ٧٤ كم عن مركز محافظة النجف.

المحطة السادسة، منطقة بركة حمد (بريجة) وتبعد مسافة ٨٦ كم عن مركز محافظة النجف.

المحطة السابعة، منطقة الحمام (حمام سعد) وتبعد مسافة ٩٩ كم عن مركز محافظة النجف.

المحطة الثامنة، منطقة مسيجد وتبعد مسافة ١١١ كم عن مركز محافظة النجف.

المحطة التاسعة، منطقة الطلحات (القرعاء أو البيضة) وتبعد مسافة ١٢٤ كم عن مركز محافظة النجف.

المحطة العاشرة، منطقة بركة العمية وتبعد مسافة ١٣٦ كم عن مركز محافظة النجف.

المحطة الحادية عشرة، منطقة بركة أبو مسك وتبعد مسافة ١٥١ كم عن مركز محافظة النجف.

المحطة الثانية عشرة، منطقة شراف وتبعد مسافة ١٦٣ كم عن مركز محافظة النجف.

المحطة الثالثة عشرة، منطقة واقصة وتبعد مسافة ١٦٦ كم عن مركز محافظة النجف.

المحطة الرابعة عشرة، منطقة بركة العمياء وتبعد مسافة ١٩٧ كم عن مركز محافظة النجف.

المحطة الخامسة عشرة، منطقة

العقبة (الأعكبة) وتبعد مسافة ٢١٧ كم عن مركز محافظة النجف.

بعد هـذه البركة بـ ٣ كم يوجد سـد قديـم تم بناؤه فـي تلك الفتـرة التي تم بها بناء البرك وحفر الآبار، وبعد السـد بمسافة ١ كم تنتهي الحدود العراقية وتبدأ الحدود السعودية.

محطـات أو منازل طريـق الحج من العقبة إلى مكة

يبـدأ الطريق فـي هـذه المرحلة من داخـل حـدود العربية السـعودية ويكون ضمن حـدود المنطقـة الشـمالية والتي مركزها مدينة عرعر ثـم يدخل الطريق في حدود منطقة بريدة ومركزها القصيم ثم يدخـل بعد ذلك ضمن حـدود منطقة حائـل ثم يدخـل حدود المدينـة المنورة وأخيرا إلى مكة.

تفصيل الطريـق للمرحلة الثانية وكما يلي[٢٣]:

١- بركة الضفيري.
٢- بركة العمياء (الجلحاء).
٣- بركة القاع.
٤- بركة الثليمة (الهيثم).
٥- بركـة الجميمة (الجريسـي)، تبعد عـن مركز محافظة رفحا ١٤ كم شـرقا، كانت هـذه المنطقـة هي نهايـة الحدود العراقية لغاية فتـرة ١٩٧٠ ولكن بعد ذلك وهبها صدام إلى السعودية.
٦- بركة الجلبابي (القبيبات).
٧- بركـة زبالـة (تبعد مسـافة ٣٨ كم جنـوب مدينة رفحـا)، تبعد عـن العقبة العراقية ٩٢ كم جنوبا.
٨- بركة الشاحوف (الرضم)، جنوب غرب بركة زبالة بمسافة ١٤ كم.
٩- بركـة العصافير (التنانير)، جنوب

بركة البدع (الثعلبية)

بركة الخزيمية

بركة الأجفر

بركة الحميمة

معدن النقرة

بركة الجفنية

بركة زبالة بمسافة ٢٧ كم.

١٠- بركة الشيحيات (الشقوق) جنوب بركة زبالة بمسافة ٣٤ كم.

١١- بركة الحمراء (الرستمية) جنوب بركة الشيحيات بمسافة ١٦ كم.

١٢- بركة حمد (ردان - الشيخة) جنوب بركة الحمراء بمسافة ١٣ كم.

١٣- بركة العشار (البطان) جنوب غرب بركة الشيحيات بمسافة ٤٩ كم، كما إنها تقع شرق منطقة لينة بمسافة ٣٨ كم.

١٤- بركة العرائش (المهلبية - التناهي).

أ - العرائش الشمالي.

ب - العرائش الأوسط (بركة موسى بن عيسى - بركة أم جعفر).

ج - العرائش الجنوبي (بركة حسين الخصي).

١٥- منطقة البدع (الثعلبية)

١٦- الخضراء (بينها وبين البدع ٥ كم).

١٧- الهاشمة.

١٨- القنعة (قنعة خفاف).

١٩- شامة كبد (الغميس).

٢٠- الوسيط الشرقي (زرود العتيقة - الخزيمية).

٢١- الوسيط الغربي (المنتصفة)، شمال شرق حائل ٢٨٠ كم.

٢٢- الأجفر.

٢٣- الخوير (بطن الأغر).

٢٤- فيضة الأجفر (عقبة الأجفر).

٢٥- بركة الساقية (البلّة) جنوب غرب الأجفر بـ ٢٠ كم.

٢٦- الشفاء (القرائن).

٢٧- بركة الحويض (البرمكية - بريد فهدان).

٢٨- الشغوة (حوض موسى بن

عيسى).
٢٩- فيد (جنوب غرب مدينة حائل بحوالي ١٣٠ كم).
٣٠- بئر أم هروج (رحبة فروج) جنوب فيد بحوالي ١٣ كم.
٣١- بركة الغربيين (القرنتين) جنوب أم هروج بحوالي ١٥ كم.
٣٢- بركة المخروقة (توز).
٣٣- بركة أرينبة (العنابة).
٣٤- بركة الجفالية (الفحيمة - الحمة) ١٣ كم شمال شرق بلدة سميراء.
٣٥- سميراء (جنوب منطقة فيد بحوالي ٨٠ كم).
٣٦- بركة حريد (الحسنة) جنوب سميراء بحوالي ٣٠ كم.
٣٧- بركة كتيفة (العباسية) جنوب شرق بركة حريد بحوالي ٨ كم.
٣٨- الحميمة الشمالية (شمال البعايث بحوالي ٣٠ كم).
٣٩- البعايث (الحاجر).
٤٠- سناف اللحم (قروري) جنوب البعايث بحوالي ٤٠ كم.
٤١- بركة الحميمة (الحسنى) شمال شرق موقع معدن النقرة بحوالي ٢٤ كم.
٤٢- معدن النقرة (جنوب غرب بركة الحميمة بحوالي ٢٤ كم).
٤٣- الجفنية (جنوب شرق معدن النقرة بحوالي ٢١ كم).
٤٤- الماوية (جنوب الجفنية بحوالي ٥٥ كم).
٤٥- الصقعاء (جنوب الماوية بحوالي ١٩ كم).
٤٦- الربذة (بركة أبو سليم) شرق المدينة المنورة بحوالي ٢٥٠ كم.
٤٧- بركة حمضان (الروثة - الكنابين)

بركة مغيثة الماوان

سد الماوان

بركة الربذة

منطقة مهد الذهب

منطقة ذات عرق

بركة مكة الرقة

عن الربذة حوالي ٣٥ كم.

٤٨- بركة الوسنة (شمال السليلية بحوالي ٧ كم).

٤٩- البريكة (بركة العمق - الضبة) جنوب السليلية بحوالي ١٥ كم.

٥٠- العمق.

٥١- مهد الذهب (معدن بني سليم).

٥٢- ضليع الشق (الكراع) جنوب شرق مهد الذهب بحوالي ٣٧ كم.

٥٣- أفيعية (جنوب غرب ضليع الشق بحوالي ٣١ كم.

٥٤- خبراء الحاج (الكبوانة) جنوب بركة الأفيعية بحوالي ٣٠ كم.

٥٥- المسلح (جنوب الكبوانة بحوالي ٣٠ كم).

٥٦- الغزلانية (القصر) جنوب المسلح بحوالي ٢٥ كم.

٥٧- الخرابة (بسيان).

٥٨- سلحة (أوطاس) في هذه المنطقة يلتقي الطريقان طريق البصرة وطريق الكوفة.

٥٩- الضريبة (ذات عرق).

٦٠- مكة الرقة (غمر ذي كندة).

٦١- المضيق (جنوب غرب مكة الرقة بحوالي ٢٥ كم).

٦٢- العلوية (لويّة).

٦٣- أم الضميران (البستان) جنوب غرب العلوية بحوالي ٢ كم.

٦٤- المشاش (الشرائع).

٦٥- خرائب أبي نؤاس.

٦٦- البرود (شمال شرق مكة المكرمة بحوالي ٢٠ كم.

٦٧- مكة المكرمة ■

(١) معجم البلدان ، ٣ / ١٣٩. تقع زرود اليوم

شـمال شـرق مدينة حائل بـ ١٦٠ كم، وتبعد مسافة ٥٨٥ كم جنوب غرب المدينة المنورة.

(٢) المصدر السابق ٢ / ١١ تسمى اليوم البدع وتقع شـرق عرك المظهور شـمال التيسية (حزن مليحـة) تقـع اليوم ضمـن الحـدود الإدارية للمنطقة الشمالية (منطقة حائل).

(٣) المصدر السـابق ٣/ ٢٨ تبعد منطقة شـراف مسـافة ٢٢كم جنوب ناحية الشبكة (محافظة النجف). بعد منطقة شـراف بـ ١٥ كم نصل إلى بركة أبو مسك ومن هذه البركة إلى ناحية الشبكة ٧كم.

(٤) نفس المصدر ٤ / ٩٢ اليوم تسمى بركة زبيدة وتبعـد عن النجف ٥٢ كـم ، وتعتبر أول بركة فـي طريـق الحج البـري القديـم المعروف (بدرب زبيدة) من جهة النجف (العراق).

(٥) نفس المصدر ٤ / ٦ .

(٦) المصدر السابق ج ٢ ص ٤٦٧ .

(٧) نفس المصدر ج ٣ ص ٤٥٠ مدينة كبيرة عامرة تتبع إلى محافظة الشـنان تقع جنوب شـرق حائـل بـ ١٢٠ كم ، وهي واحة قديمة ، وتعتبر نصف طريق الكوفة – مكة.

(٨) نفس المصدر ج ٣ ص ٧٣ .

(٩) نفس المصدر ج ٤ ص ٣٩٨ .

(١٠) الحيرة : بالكسـر ثم السـكون وراء ، مدينة كانـت على ثلاثـة أميال من الكوفـة، معجم البلدان ٢ / ٢٠٢ .

(١١) تاريخ الكوفة ، ص ٧ .

(١٢) تاريخ الطبري، ٤ / ٤٥٥ - ٤٧٧ .

(١٣) نفس المصدر ٥ / ٣٩٥ .

(١٤) نفس المصدر ٤ / ٣٩٦ - ٣٩٧ .

(١٥) نفس المصدر ٤ /٣٩٦ - ٣٩٧.

(١٦) الطبـري ٤ / ٣٩٨- ٣٩٩، علمـا إن منطقـة العقبة هي بداية الحدود العراقية.

(١٧) معجم البلدان - الحموي ٤ / ٤١٠ .

(١٨) المصدر السابق، ص ١١٨ .

(١٩) بركهارت الترجمة العربية،ص ٢٢٨ .

(٢٠) درب زبيدة،ص ١١٠ .

(٢١) نفس المصدر، ص ١١٠ .

(٢٢) نفس المصدر.

(٢٣) المصدر السابق، ص ١٤٣ .

بركة الصفاح

أحد آبار منطقة الصفاح

مكة المكرمة

في الذاكرة ..

شهر ربيع الأول

١ خروج النبي صلى الله عليه وآله إلى غار ثور استعداداً للهجرة، ومبيت الإمام علي عليه السلام على فراشه تلك الليلة سنة ١٣ من البعثة.

١ أول هجوم على دار أمير المؤمنين عليه السلام لأخذ البيعة منه بعد دفن النبي صلى الله عليه وآله سنة ١١هـ .

٣ رمي الكعبة بالمنجنيق حتى أُحرقت على يد الحصين بن نمير قائد جيش يزيد بن معاوية سنة ٦٤ هـ .

٤ خروج النبي صلى الله عليه وآله من الغار وهجرته إلى المدينة.

٥ وفاة السيدة سكينة بنت الإمام الحسين عليه السلام سنة ١١٧ هـ .

٨ استشهاد الإمام الحسن العسكري عليه السلام سنة ٢٦٠ هـ .

٩ ابتداء إمامة الإمام صاحب الأمر الحجة بن الحسن (عجل الله فرجه)، وبداية غيبته الصغرى.

٩ مقتل عمر بن سعد (لعنه الله) سنة ٦٧ هـ .

١٠ وفاة عبد المطلب جد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله سنة ٣٢ قبل البعثة .

١٠ زواج النبي صلى الله عليه وآله من السيدة خديجة عليها السلام سنة ١٥ قبل البعثة .

١٠ اغتصاب معاوية بن أبي سفيان (لعنه الله) للخلافة واخذ البيعة من الناس وكان أول ملوك بني أمية، وذلك سنة ٤١ هـ.

١٢ وصول النبي الأعظم صلى الله عليه وآله إلى المدينة مهاجراً من مكة سنة ١٣ من البعثة.

١٢ هلاك المعتصم العباسي (لعنه الله) بِسُرَّ من رأى سنة ٢٢٧ هـ .

١٤ هلاك يزيد بن معاوية (لعنه الله) سنة ٦٤ هـ .

١٥ بناء مسجد قباء أول مسجد في الإسلام سنة ١ هـ .

١٧ مولد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في عام الفيل (٥٧٠م) سنة ٥٣ قبل الهجرة .

١٧ مولد الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام سنة ٨٣ هـ في المدينة المنورة.

٢٢ غزة النبي صلى الله عليه وآله لبني النضير من اليهود بعد نقضهم الميثاق المبرم بينهم وبينه صلى الله عليه وآله وتآمرهم على قتله.

٢٣ وصول السيدة فاطمة (المعصومة) بنت الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام إلى بلدة قم سنة ٢٠١ هـ .

٢٥ توقيع هدنة (صلح) الإمام الحسن عليه السلام مع معاوية بن أبي سفيان (لعنه الله) على شروط نقضها معاوية، وذلك سنة ٤١هـ.

٢٥ استشهاد سعيد بن جبير رضي الله عنه على يد الحجاج بن يوسف الثقفي (لعنه الله) سنة ٩٥هـ .

٢٥ وفاة السيد علم الهدى الشريف المرتضى قدس سره عام ٤٢٦هـ.

٢٧ دخول أمير المؤمنين عليه السلام المدينة المنورة بظعينة الفواطم. مهاجراً من مكة إلى المدينة وملتحقاً بالنبي صلى الله عليه وآله.

٢٧ وفاة المرجع الأعلى زعيم الطائفة آية الله العظمى السيد محسن الحكيم قدس سره سنة ١٣٩٠هـ .

شهر ربيع الثاني

١ خروج سليمان بن صرد الخزاعي وأصحابه للثأر لدم الحسين عليه السلام، وسميت حركته بثورة التوابين والتي انتهت بمقتله ومقتل أصحابه سنة ٦٥ هـ .

٦ هلاك هشام بن عبد الملك سنة ١٢٥هـ .

٨ شهادة الزهراء عليها السلام (على رواية) بعد وفاة أبيها صلى الله عليه وآله بأربعين يوماً سنة ١١ هـ .

٨ مولد الإمام الحسن العسكري عليه السلام في المدينة المنورة سنة ٢٣٢ هـ .

٩ وفاة الشاعر الكبير السيد حيدر الحلي رحمه الله، صاحب القصيدة الشهيرة التي مطلعها (الله يا حامي الشريعة)، وذلك سنة ١٣٠٤هـ .

١٠ وفاة السيدة فاطمة (المعصومة) بنت الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام سنة ٢٠١ هـ.

١٣ وفاة السلطان معز الدولة الديلمي رحمه الله في بغداد سنة ٣٥٦ هـ .

١٧ بدء ثورة المختار بن أبي عبيدة الثقفي مطالباً بدم الحسين عليه السلام ودماء أهل بيته وأصحابه سنة ٦٦هـ.

١٥ فتح البصرة على يد أمير المؤمنين عليه السلام سنة ٣٦ هـ .

٢٢ وفاة السيد موسى المبرقع ابن الإمام محمد الجواد عليه السلام بمدينة قم ودفن فيها سنة ٢٩٦ هـ.

٢٤ خلع معاوية بن يزيد نفسه عن الخلافة المغصوبة من أهل البيت عليهم السلام بعد أربعين يوماً من هلاك أبيه يزيد بن معاوية (لعنه الله) سنة ٦٤ هـ .

٢٦ وفاة مرجع الشيعة في عصره الشيخ أبو القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن الملقب بالمحقق الحلي قدس سره صاحب كتاب (شرائع الإسلام)، سنة ٦٧٦ هـ .

٢٨ وفاة الشيخ عبد الحسين الأميني قدس سره صاحب كتاب (الغدير) سنة ١٣٩٠هـ .

* * * * *

وقفة مع الذكرى..

ذكرى استشهاد الإمام العسكري
وتتويج الإمام المهدي عليهما السلام

استشهد الإمام الحسن العسكري عليه السلام ـ وهو الإمام الحادي عشر من أئمة أهل البيت عليهم السلام ـ في الثامن من ربيع الأول سنة ٢٦٠ للهجرة.

نشأ وتربّى في ظلّ أبيه الإمام علي الهادي عليه السلام الذي فاق أهل عصره علماً وزهداً وتقوىً وجهاداً. وصحب أباه اثنين أو ثلاثاً وعشرين سنة وتلقّى خلالها ميراث الإمامة والنبوّة فكان كآبائه الكرام علماً وعملاً وقيادةً وجهاداً وإصلاحاً لأُمّة جدّه محمد صلى الله عليه وآله.

تولّى مهامّ الإمامة بعد أبيه واستمرّت إمامته نحواً من ست سنوات، مارس فيها مسؤولياته الكبرى في أحرج الظروف وأصعب الأيّام على أهل بيت الرسالة..

لقد كان عليه السلام أستاذ العلماء وقدوة العابدين وكان يشار إليه بالبنان وتهفو إليه النفوس بالحبّ والولاء كما كانت تهفو إلى أبيه وجدّه. وكان إذا مر في السوق هدأت الأصوات وفتح له الطريق رغم اكتضاضه بالناس لهيبته ووقاره.

وقد مجده كثير من علماء العامة، فهذا ابن الصباغ المالكي يقول فيه: «...إنّه سيد أهل عصره وإمام أهل دهره، أقواله سديدة وأفعاله حميدة، وإذا كانت أفاضل زمانه قصيدة فهو في بيت القصيدة، وإن انتظموا عقداً كان مكانه الواسطة الفريدة، فارس العلوم الذي لا تجارى ومبين غوامضها، فلا يحاول ولا يبارى، كاشف الحقائق بنظره الصائب مظهر الدقائق بفكره الثاقب المحدث في سره بالأمور الخفيات الكريم الأصل والنفس والذات».

وهذا عبد الله بن خاقان الذي كان شديد النصب والانحراف عن أهل البيت عليهم السلام يقول لابنه أحمد وهو يصف الإمام العسكري عليه السلام: «ما رأيت ولا عرفت بسرّ من رأى رجلاً من العلوية ـ ويقصد من العلويين ـ مثل الحسن بن علي في هديه وسكونه وعفافه ونبله وكرمه عند أهل بيته وبني هاشم كافة وتقديمهم إياه على ذوي السنّ منهم والخطر، وكذلك كانت حاله عند القوّاد والوزراء وعامة الناس...

يا بني ذاك إمام الرافضة ولو زالت الخلافة عن بني العباس ما استحقها أحد من بني هاشم

غيره لفضله وعفافه وصومه وصلاته وصيانته وزهده وجميع أخلاقه، ولقد كنت أسأل عنه دائما فكانوا يعظمونه ويذكرون له كرامات. وقال: ما رأيت أنقع ظرفاً ولا أغض طرفاً ولا أعف لساناً وكفّاً من الحسن العسكري عليه السلام».

عايش الإمام خلال وجوده في سامراء ضعف السلطة العباسية وسيطرة الأتراك على مقاليد الحكم... وهذا الأمر لم يمنع من تزايد سياسة الضغط والإرهاب العباسي بحق الإمام عليه السلام الذي لاقى منهم الحقد والمرارات المختلفة، و تعرّض للاعتقال عدّة مرّات في مدة إمامته القصيرة إبان حكم المعتز والمهتدي والمعتمد العباسي..

وأبرز ما يميز هذه الفترة في حياة الإمام عليه السلام هي عبادته في السجن، وتعلقه بالله سبحانه؛ وإن هذه الصورة التي تنقل عن الإمام العسكري عليه السلام، تعيد إلى أذهاننا صورة جدّه الإمام الكاظم موسى بن جعفر عليه السلام في سجن الخليفة العباسي هارون الرشيد، الذي قضى فيه سنين عديدة بالعبادة والتوجه إلى الله. وكان يقول غير متبرِّم ولا جزعٍ من السجن والقيد: «إني دعوتُ الله أن يُفرغني للعبادة ففَعَل».

وحينما أطلقت سراحه السلطة العباسية، فرضت عليه الإقامة الجبرية. وأحاطته بالرقابة وأحصت عليه كلّ تحرّكاته لتشلّ نشاطه وتحول بينه وبين ممارسة دوره القيادي في أوساط الأُمة.

لقد خاض الإمام ملحمة الكفاح لمواجهة الظلم والإرهاب والتلاعب بالسلطة ومقدرات الأُمة ومصالحها فحافظ على أُصول الشريعة والقيم الرسالية ومحاربة البدع وهداية المترددين والشاكّين وجذبهم إلى حضيرة الدين، ومهّد بذلك خير تمهيد لعصر الغيبة..

وأخيراً قرر المعتمد العباسي على الفتك بالإمام واغتياله، فدسّ له السّم، ولم تزل العلة تزيد فيه والمرض يثقل عليه حتى استشهد وقضى نحبه صابراً شهيداً محتسباً، وعمره دون الثلاثين عاماً فسلام عليه يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حيّاً.

وبعد استشهاد الإمام العسكري عليه السلام، توّج ابنه الإمام المهدي عليه السلام بتاج الخلافة والإمامة للمسلمين في التاسع من ربيع الأوّل سنة ٢٦٠ للهجرة.

والإمام المهدي عليه السلام هو الإمام الثاني عشر وهو آخر أئمة أهل البيت عليهم السلام، وقد بشَّر به جَدُّه محمد صلى الله عليه وآله في أحاديث متواترة أنه سيملأ الأرضَ قسطاً وعدلاً كما مُلِئَت ظُلماً وجَوراً. وعلى هذا الأساس صدر الأمر من قبل السلطة العباسية بإلقاء القبض عليه قبل ولادته، وكان الجواسيس يراقبون كل شاردة وواردة عن مولده ولكنَّ الله عزَّ وجَلَّ نجّاه كما نجّى النبي موسى عليه السلام من فرعون ، ونبي الله إبراهيم عليه السلام

من قبضة النمرود.

تسلّم الإمام المهدي عليه السلام مهام الإمامة وهو ابن خمس سنين، فهو بذلك يكون أصغر الأئمة عليهم السلام سنّاً عند تولّيه الإمامة، وليس هذا بدعاً من القول في تاريخ الأنبياء والرسل وأئمة أهل البيت عليهم السلام.

فقد سبق الإمام المهدي عليه السلام بعض أنبياء الله تعالى، كعيسى ويحيى وفق نصّ القرآن الكريم بعمر ثمان سنين، وسبقه جدّه الإمام الهادي عليه السلام لتسلّم الإمامة وكان عمره ثمان سنين، وسبقه الإمام الجواد عليه السلام وعمره الشريف سبع أو تسع سنين.

فلا يؤثّر صغر السنّ في قابلية الإفاضة الربّانية على الشخص، ولذا نرى الذين ترجموا للإمام المهدي عليه السلام من علماء المذاهب الإسلامية قد اعتبروا تسلّمه للإمامة وهو في هذا السنّ ـ خمس سنين ـ أمراً عادياً في سيرة الأئمة عليهم السلام.

وقد تَجَرَّع الشيعة عبر التاريخ الغصص فنوناً وألواناً فمن الإرهاب الفكري لأنهم حَمَلوا فكر أهل البيت عليهم السلام، إلى الحرمان الاقتصادي لأنهم عاشوا قِيَم أهل البيت عليهم السلام، إلى الاضطهاد السياسي لأنهم اتّبعوا منهج أهل البيت عليهم السلام.

وبالرغم من ذلك عاش في أعماق الشيعة أمَلٌ يستقطب حركتهم، ويُلَمْلِمُ طاقاتهم، ويجمع قِيَادَتهم، لِتَكونَ المسيرة واحدة في خدمة الإسلام والمسلمين.

وفي هذه المناسبة العظيمة نبارك لجميع المؤمنين والمستضعفين على وجه الأرض ذكرى تتويج وريثِ الوصاية، الإمام الحجّة المهديّ (عجّل الله تعالى فرجَه الشريف) بالإمامة الخاتِمة، والإمامة المنتظَرة لإحقاق الحقّ وإبطال الباطل وملءِ الأرض قسطاً وعدلاً كما تُملأ ظُلماً وجوراً..

بالإمامة التي ترقبها عيونُ جميع المحرومين والمظلومين ومَن ضاقت بهم الأرض وهم يتطلّعون إلى طلعته البهية الغرّاء؛ ليزيحَ الظلم والفساد، وينشر العدلَ والأمان والهدى والرشاد.. بالإمامة التي اشتاقتها على مدى القرون قلوبُ المؤمنين الغيارى على الدين الحنيف، وتنتظرها جميع الملل والأقوام بعنوان ظهور المُصلح العالميّ الذي سينقذ المستضعفين مِن وَطْأة المستكبرين، ويُشبع الجياع ويؤمن الحيارى والضائعين فمزيداً من الأمل المقدّس في زمن الانتظار، ومزيداً من الاستعداد والتمهيد للفرَج والبشرى، ومزيداً من الثقة بالله تعالى بنصره العزيز. نسأل الله ان يعجل في ظهوره ويجعلنا ممن يدركون أيامه ويرزقنا نصره والاستشهاد بين يديه ■

❊ ❊ ❊

بسم الله الرحمن الرحيم

س: هناك الكثير من العشائر والعوائل العلوية لا تسمح بتزويج بناتهن إلى غير العلويين، حتى لو كان المتقدم لخطبتهن من الأكفاء عرفاً وشرعاً. وقد أدى ذلك إلى بقاء كثير من العلويات عوانس، مما يسبب لهن شديد المعاناة، لحرمانهن من غريزة الأمومة وغيرها من ضروريات الحياة. نرجو من سماحتكم بيان رأيكم الشريف في هذه الظاهرة.

ج: أكد الإسلام على لسان نبيه صلى الله عليه وآله والأئمة من أهل بيته عليهم السلام على

نبذ فوارق النسب في النكاح، وأن المؤمن كفؤ المؤمنة. كما أكد على أنه ينبغي الاهتمام بالدين والخلق والأمانة والعفة. وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وعنهم عليهم السلام في نصوص كثيرة: (إذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه، إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير)[1]. فلا ينبغي رد الخاطب المؤمن إذا كان متديناً حَسَن الخلق، خصوصاً إذا كان ذا يسار، بحيث ينهض بمعاشه ومعاش عياله.

وأما ما تعارف عند بعض القبائل من عدم تزويج بناتهم لغيرهم اعتزازاً بأنفسهم، وترفعاً وتعالياً عن غيرهم، فهو استجابة لدعوة الشيطان للعصبية الجاهلية، مع ما يترتب على ذلك من تعطيل النساء وحرمانهن من أهم حقوقهن، فإن صبرن ظُلمن ظلمَ من لا يجد له ناصراً إلا الله، وهو أفحش الظلم، وإن خرجن عن ذلك فهو الجريمة والإثم منهن ومن القبيلة، والعار والشنار عليهن وعليها، ثم ردود الفعل الظالمة التي ما أنزل الله تعالى بها من سلطان: ﴿**أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون**﴾[2].

ومن المفارقات العجيبة أن شرف هؤلاء برسول الله صلى الله عليه وآله وشرف رسول الله صلى الله عليه وآله بالتزامه بأحكام الله، ثم هم يخرجون عن حكم الله وسنة رسوله استهواناً بذلك وانتهاكاً لحدود الله. وإنا لله وإنا إليه راجعون.

* * * * *

س: تقدم أحد المؤمنين الشباب لخطبة أحدى العلويات، وقد وافق والد وإخوان البنت العلوية للزواج من هذا الشاب، وحسب قول الرسول صلى الله عليه وآله: (زوجوا من ترضون دينه وخلقه)، وقد أجري عقد القران في المملكة وعند وكيلكم في المنطقة، ولكن ابن عم العلوية ممن يدعون التدّين ومن خدام الإمام الحسين عليه السلام قام بالاعتراض للزواج، وقال لهم أقتلكم معاً (العلوية والشاب)، بحجة أن الشاب هو غير سيّد. ومع العلم أن ابن عم العلوية متزوج. فما هو حكم هذا السيّد في شريعتنا السمحاء؟ وما هي نصيحتكم له؟.

ج: نصيحتنا للسيد المذكور وفقه الله تعالى أن يستجيب لتعاليم

الإسلام التي جاء بها جده رسول الله صلى الله عليه وآله وأكدها أئمة أهل البيت عليهم السلام حين قالوا: (إذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير)[٣]. وقد ترجم رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك عملياً حينما زوج ضباعة ابنة عمه الزبير بن عبد المطلب من المقداد بن الأسود الكندي، لتتضح المناكح[٤]، ﴿**لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً**﴾[٥]. ﴿**فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم**﴾[٦].

* * * * *

س: إن المسلمين في هذه الأيام لا يهتمون بمسألة رؤية الهلال (الاستهلال) لتحديد بداية الشهور الهجرية، وهذا غالب عليهم، إلا بالنسبة لهلال شهر رمضان المبارك، لما له من علاقة مباشرة بصوم هذا الشهر، وهلال شهر شوال وهلال ذي الحجة، لعلاقتهما بتحديد يوم عيد الفطر ويوم عرفة وعيد الأضحى.

وغالباً ما يحدث كلام يتكرر مضمونه، وخاصة عندما يحدث الاختلاف في إثبات بداية الشهر، نتيجة لقلة الاستهلال، أو بسبب كبر الهلال وصغره، فيتكلم بعضهم في هذا الموضوع وكأنه من أهل الاختصاص، فيثبت رؤية الهلال ويحدد بداية الشهر لا لشيء من الطرق المعتمدة عند فقهائنا (رضوان الله عليهم)، بل لرأيه الشخصي، أو لكبر الهلال ـ مثلاً ـ فيعتبر الهلال أنه لليلة ثانية. فما هو رأيكم بخصوص هذا الموضوع؟ وما هي نصيحتكم؟.

ج: لما كان الصيام من فرائض الإسلام فاللازم على المؤمنين الجري على الموازين الدينية والطرق الشرعية في تحديده وإحرازه، والوقوف عندها وعدم الخروج عنها.

وقد أكدت الأخبار عن النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته الأطهار عليهم السلام على أن الطريق لذلك رؤية الهلال، دون الظنون والتخمينات، ففي صحيح محمد بن مسلم عن الإمام الباقر عليه السلام قال: (إذا رأيتم الهلال فصوموا، وإذا رأيتموه فأفطروا، وليس بالرأي ولا بالتظني،

ولكن بالرؤية...)[٧].

وفي صحيح إسحاق بن عمار عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: (في كتاب علي: صم لرؤيته وأفطر لرؤيته، وإياك والشك والظن، فإن خفي عليكم فأتموا الشهر الأول ثلاثين...)[٨]. ونحوهما غيرهما مما هو كثير جداً. وفي بعضها أن النبي صلى الله عليه وآله أكّد ذلك لما ثقل في مرضه[٩]، مما يدل على شدة اهتمامهم (صلوات الله عليهم) بهذا الأمر. كما أكدت الاخبار أيضاً على أنه لا عبرة بتأخير غيبوبة الهلال أو نحو ذلك، مما قد يوهم أنه ابن ليلتين، وأنه لا يكفي في أداء هذه الفريضة العظيمة. كل ذلك رداً على الجهال والمتسرعين، ممن يتشبثون بالأوهام والظنون والتخرصات والتمحلات، وعلى ذلك جرى العلماء والفقهاء في كتبهم وفتاواهم.

فاللازم على المؤمنين (وفقهم الله) الوقوف عند حدود الله تعالى، والحذر من التسرع والتخبط والجري على ظنون وتخرصات ما أنزل الله بها من سلطان. ويا حبذا لو يهتم المؤمنون بَدل ذلك برؤية الهلال ويعُدّوا لها عدتها، وذلك بالاجتماع في الأماكن المنكشفة، أو الصعود للمرتفعات المشرفة، من أجل الاستهلال بأكبر عدد ممكن، مع كمال التحفظ والتثبت، والاستمرار على ذلك، حتى يألفوه ويسيطروا على مواقع الهلال، وإذا رأوه أبلغوا علماءهم من أجل أن يقولوا كلمتهم على ما تقتضيه الموازين الشرعية عن بصيرة تامة، فيكونون بذلك قد أدوا ما عليهم وقاموا بوظيفتهم.

وعلى الله تعالى قصد السبيل. ونسأله سبحانه العصمة والسداد. وهو حسبنا ونعم الوكيل.

---

(١) الكافي: ٥/ ٣٤٧.
(٢) سورة المائدة الآية: ٥٠.
(٣) تقدم في ص: ٢٨.
(٤) راجع الكافي: ٥/ ٣٤٤.
(٥) سورة الأحزاب الآية: ٢١.
(٦) سورة النور الآية: ٦٣.
(٧) الكافي: ٤/ ٧٧.
(٨) الاستبصار: ٢/ ٦٤.
(٩) وسائل الشيعة: ١٠/ ٢٥٧.

* * * * *

الوعد الحق

تحرير هادي •

- ١ -
نداء القدر

في بضع سنين.. هناك في المدينة
حيث بيوت الطين تنعم بالهدوء مع السكينة
ومنزل صغير باحته حزينة
تضج بالأنين..
حيث رمال الأرض تحضن بصمة خلفها
ظل لعائلة الحسين
مجتمعين حوله أخوته.. نساؤه.. مع البنين
والشمس في الأفق البعيد
تشرق للحسين بابتسامة..
داعب فيها طفله الوليد.. تريد أن تنسج
بيتاً في السماء
حتى تطيل فترة البقاء
كي تستطيع رؤية الصغار أطول وقت
ممكن من النهار
وطفلة صغيرة تلعب في الجوار
راحت تنفض ثوبها من الغبار
تمشي على استحياء في سكون تجلس
قرب الباب
راحت تلملم حول ساقيها الثياب
تسمع ما يقال؟
عن رحلة طريقها طويل
ووالد يشيد بالعزم على الرحيل
كيف هو الخلاص؟
لابد من سبيل
لِمَ الرحيل والدي لِمَ الرحيل؟ لِمَ لم يزل
لمكوثنا سوى القليل
لابد من حل بديل
ينصح بالبقاء، فلا نكابد المسير والعناء
فإذا بكف دافئة تمر فوق رأسها الصغير
لا بأس يا صغيرتي لابد أن نتجرع الأمر
المرير
ففي السماء طير
لا يرجع الأمر إليه في القضا
لعطل المسير
يدعونه القطا، رحالة صغير
يقود سرباً من قطيع

يملك أمراً بالتوجه لا الرجوع ولأنه يطيع
أمراً يكون نافذاً على الجميع
وكذلك نحن بنيتي نطيع، لابد أن نطيع
أما ترين الشمس تخب في الأصيل
لقد أتاها أمر بالنزول
والشمس تكره الرحيل
وهناك عند التل رغم أنفها
تلبس ثوبها الجديد
عليها أن تغادر المكان. بأصابع تنوي
التشبث في سكون بطرف عود
لكنها تهوي بعيدة كأنما تسحب في قيود
تريد أن تصارع المصير
فلم تمل بعد من رؤية وجهك الصغير
فالشمس تعشق الصغار
ولأجلهم تجلس ساعات هناك من النهار
ولا تمل الانتظار
لكنها تطيع أمراً يكون نافذاً على الجميع
وكذاك نحن بنيتي نطيع أمراً
وقد صدر
أرسله لجدك القدر
لكن أتعلمين...
هناك خلف وحشة البيدا ربيع، وجنة
تنبض بالربوع
خضراء باتت ظلها ظليل، لا تعرف الوداع
والرحيل لا تشرق الشمس هناك ولا
يكون هناك ليل
لا قمر يبزع أو يزول، ولا زهور تعرف
الذبول
بل أنه أحلى من الربيع
يشرق في سطوع
لو يعلم الجميع ما يكون
فلن يكون لهم سوى الخضوع
تجيبه الصغيرة
ونحن يا أبي كذا نطيع
أمراً يكون نافذاً على الجميع

- ٢ -
السفير

وبات آل هاشم يرتقبون أمراً
إلى أين يكون سيدي المسير
لأرض مكة المضي فتهتك الحُرم
أم أرض كوفان التي كان بها والدك الأمير
لابد من قرار، يتخذ قبل أن يلحق
بالإسلام عار
مسلم يا ابن العم عجل بالانطلاق
إلى بلاد اسمها العراق
وامض بعين الله وانظر ما يكون
لعل في العراق جمعاً من عبيد
يقارعون بيعة أعلنها يزيد
وتبدأ الرحلة قد كتبت بأقلام السماء
بعد وداع ساده العناق والبكاء
نحو العراق مسيرة لابد منها والطريق
طويل
وكل حي سالك سبيل
هناك في الكوفة جمع من أنام، يعتنقون
الدين بالكلام
قد بايعوا وتصافحت أيديهم هناك في
أحد المساجد
في ليلة خطت بها رسالة يا سيدي الكل
يعاهد
نبايع الحسين بالولاء وابن عقيل شاهد
بعد يوم تنقض العهود
والصمت في الطرقات والمدى يسود
ومسلم مطارد بين الأزقة ينشد الأمان
كانت تطارده القيود
أتوا به حياً ليشهد الجميع
ضمآن يعلن الركوع. للحاكمين هناك أبناء
العبيد
كي يعلن الطاعة للطاغي يزيد
ومسلم لن يعلن الخضوع

وللحسين تذرف الدموع
يا سيدي عذراً عليك الرجوع
فالوعد قد أخلفه الجميع
ويجيبه الحسين من بعيد
بعبرة تقبع في الضلوع
يا صاحبي لابد أن نتجرع الأمر المروع
فهناك بعد الليل فجر يرتقب الطلوع

- ٣ -
طريق الجنة

وتبدأ الرحلة نحو كربلاء
بهودج يقوده ملك السماء
وراية تخفق في الهواء
في اليمين فوج راح يرسل النداء
يا سيدي الأمير
أصبح الأمر خارج النطاق
منذ تخطى الركب آفاق العراق
فهوادج الجمال كادت أن تميل
وراحت الخيول تنحب في صهيل
فما السبيل سيدي!! أنواصل المسير أم نحط الرحيل؟
وما يكون السر في هذا التراب
ولوهلة تجتمع الطيور في الأفق
كأنها تصنع سقفاً في السماء
وخيم الصمت على الجميع
أيكون في هذا التراب مصارع الرجال؟
وتسفك الدماء في سيول
ومواكب مضيئة تشرع في النزول
لتشهد النزال
هنا بهذي الأرض ترفع القبة للسما؟!
ويشهد المصرع أملاك وأنبياء
وتحبس السماء أمطاراً من الهطول
وكواكب مضيئة تزول قبل طلعة الهلال
هناك ما بين التلال
وتروح أفلاك السما تدور... بلا قرار...
كأنما تموج في اعصار
لو أن طيفاً يقشع الغبار
لانكشف الأمر المرير
لاصطفت الأجساد في جسور وراحت
الأرواح تعتلي في السماء. وفيه صرخة
ونداء..
تطلقها الرؤوس والدماء
هل وقع الحشر بكربلاء؟
هل من مجير يسمع ما يدور وعن غشاوة
العيون يكشف الغطاء
وهوادج تنزل من كبد السماء
أملاك تحرسها وحور
قد لاح من تلك الهوادج نور
فكوكب منير، وعباءة الرسول، وهيبة
تحملها البتول
يحتضنون جثة كان بريق نورها يخترق
السماء
تمتد منها أذرع وفروع
تحتضن الجميع
من كان بالطف الصريع والقطيع
كأنما نقول للجميع
أحبتي لابد أن نطيع
أمراً يكون نافذاً على الجميع

على درب المعجزات

قصة قصيرة

بنت العراق •

ينابيع

وسط الجموع كان يشق طريقه بصعوبة كبيرة في بادئ الأمر... ثم شيئاً فشيئاً اعتاد على الأمر وراح الإحراج من نظرات الآخرين يتبدد مع كل لحظة تمر تمتم في داخله والدموع تملأ عينيه (إلهي أنت تعلم ـ لولا حاجتي ما جئت).

كان يحرك يديه ليدفع نفسه بواسطة الكرسي إلى الأمام... إلا أن الآخرين كانوا يتزاحمون لمساعدته ودفعه معهم ليشاركهم المسيرة إلى كربلاء... نعم على درب الحق كان يسير وفي صدره حاجة يتمنى لو يمن الله عليه بقضائها (يريد أن يسير على قدميه من جديد).

... شاب في مقتبل العمر لم يتجاوز الخامسة والعشرين بعد... طالته يد الإرهاب (انفجار في وسط الجامعة) كان حظه أوفر من بعض زملائه أو كما يرى حظهم أوفر (إذا نالوا الشهادة ورحلوا إلى الرفيق الأعلى) وبقي هو مقعداً ليس في ساقيه حراك... ترك الجامعة... وهجر الأصحاب والرفاق... ولازم حجرته في المنزل لا يفارقها... ثلاثة أعوام مرت... وهو في عزلته... والحياة من حوله حالكة السواد... لا يستطيع أن يفكر إلا كيف يسير على قدميه مرة أخرى... هذا الحلم الذي يسيطر على كيانه ويشغله عن أي حلم آخر...

الأيام تمر بطيئة لا لون لها ولا طعم... ومع كل صباح جديد يكبر حاجز اليأس في نفسه وتتراكم الهموم حتى تحجب كل شي جميل حوله...

في موسم العزاء الحسيني وجد نفسه يستمع إلى تلك المصائب المفجعة

ويبكي... يبكي بحرقة... يبكي نفسه... وحياته التي تبدلت... ويذرف الدمع سخياً على المقبل من أيام عمره...

هاهي الجموع الغفيرة تتوجه إلى كربلاء من كل صوب... في مسيرة عُدم نظيرها بقلب ملهوف من حر المصاب قرر أن يشاركهم المسير... عسى أن يمن الله عليه بالشفاء... كان القرار صعباً دهش كل من سمع به من أهله ومعارفه لأنه منذ الحادث الذي أصابه لم يخرج من البيت إلا ما ندر وقاطع معظم أصدقائه ومعارفه...

بصحبة أخيه ومع الآلاف من الناس كان يسير... نحو طريق واحد... إلى الحسين عليه السلام إلى حيث تزال الهموم وتقضى الحوائج... طلب من أخيه ألا يدفع الكرسي حتى تكسل يداه... وهكذا كان...

رأى صوراً لم يرها من قبل... تآلف الناس وتحابهم... خدمة بعضهم لبعض... التواضع الشديد الذي يندر في الحياة اليومية... كانت الراية المشدودة إلى كرسيه ترف فوق رأسه... وتلامس أطرافها وجهه المبلل بالدموع أحياناً... سوف يصل ويرمي هذه الراية..

يدق شباك الحسين عليه السلام ويهتف بحاجته... ولربما يعود سائراً على قدميه... نعم لطالما تحققت مثل هذه المعجزات على هذا الدرب...

بين الحلم والتوسل كان يقضي معظم تفكيره... دموعه تبلل وجنتيه وتتساقط في حجره أنه يبكي كلما رأى طفلاً يعدو... أو عجوزاً تحث السير... المناظر هنا تعلمه دروساً لم يتعلمها طوال حياته... طوال الطريق... وقد مر يومان... لم يكن يفكر أو يدعو سوى (إلهي حاجتي... اقضها لي) كان صامتاً يتأمل ويبكي ويتضرع...

إن هنا عجوزاً أحنت ظهرها السنون بالكاد تخطو... وهنا طفلاً عمره شهور... هناك شباباً يهتفون... وغيرهم بلا مقابل يرهقون أنفسهم لخدمة هذه المسيرة... البعض يعد الطعام والآخر يسكب الماء... وبعضهم يقف على الطريق متوسلاً بالسائرين أن يمنوا عليه ويأكلوا ما أعد من زاد.

صبيحة اليوم الثالث... أنه على أعتاب كربلاء... وتكاد المسيرة تنتهي... وقد أخذ منه الإرهاق كل مأخذ... لا يعرف كيف تذكر مسيرة عائلة الحسين عليه السلام إلى كربلاء... جمع من النساء والأطفال واليتامى... قلوبهم مليئة بالجراح... وأقدامهم كليلة من هول المصاب... ليس هناك طعام مبذول على الطريق وكل ما لذ وطاب... ولا خيام تتزاحم على جانب الطريق تقي الحر والقر وتقدم الخدمات والراحة... كانوا جياعاً... حفاة... يخطون في البيداء بلا معيل... والخوف يحيط بهم ولا أمان إلا الضياع... في درب طويل يحفهم الجوع والخوف ويرهقهم التعب... أطفال لا ذنب لهم إلا أنهم عائلة الرسول صلى الله عليه وآله.

وجد نفسه يبكي... يبكي بحرقة وألم... لهذه الصورة التي رسمها وتخيلها... كان يلتقط أنفاسه بصعوبة من بين دموعه... همس أخوه في أذنه مشفقاً... سأحاول إدخالك الحرم... إلا أن عينيه متسمرة على الحرم الحسيني ودموعه لا تجف والصورة لا تفارقه.

شعر بالأمان يملأ قلبه والسكينة تعم جوانحه... وأن دموعه تغسل قلبه وتزيل

الصدأ عنه... كان يهتف مع الجموع الغفيرة لبيك يا حسين... بصعوبة بالغة وصل أمام الضريح المقدس... أخذ الراية رماها وهو يبكي (يا حسين... أريد شفاعتك... أريد الجنة).

وكأنما ولد من جديد... تغيرت حياته... أفكاره... أحلامه...

في طريق العودة... كان هناك أكثر من حلم يتزاحم في رأسه... العودة إلى الجامعة... فتح دكانه من جديد... شراء كرسي آخر جديد، زيارة بعض المعارف... و... و... كتابة قصته هذه... ■

العلامة الزاهد

السيد هادي الصائغ

١٣٠٢ - ١٣٧٧ هـ

جواد عبد الكاظم محسن •
باحث وكاتب

ينابيع

هو العلامة السيد هادي بن حسين الصائغ بن جواد بن مهدي الكاتب بن حسين الموسوي الحسيني البحراني المعروف من جهة أبيه بالصائغ لأمتهانه الصياغة، ومن جهة جده لأبيه بالكاتب لأشتهاره بجودة الخط والكتابة. أما والدته فهي علوية جليلة يعود نسبها إلى الأسرة الغريفية الموسوية، وهي عمة العلامة السيد محمد علي الموسوي البحراني الغريفي، ومن هنا يتوهم البعض فينسبه لأخواله الغريفيين.

ولادته

كانت ولادته في مدينة النجف الأشرف سنة ١٣٠٢هـ / ١٨٨٥م بإجماع

كل المصادر التي ترجمت له، وقد شاءت الصدف أن تقع وفاة خاله الأكبر السيد علي الموسوي البحراني الغريفي في السنة نفسها.

دراسته وأساتذته

حرص والده على نشأته نشأة علمية صالحة، إذ كان أبوه ممن يعرف قيمة العلم ومنزلة أهله، فأرسله مبكراً للدراسة، وأعفاه من مشاغل الحياة كلها، وشجعه على سلوك نهج العلماء العارفين، فقرأ المقدمات والسطوح الأدبية والشرعية كما هو شائع في الدراسات النجفية آنذاك، فبرز بين أقرانه ولفت الإنتباه إليه، ثم حضر أبحاثه الخارجية عند الشيخ عبد الكريم

الجزائري والسيد محمد كاظم اليزدي ـ قدس سرهما الشريف ـ وغيرهما من كبار المراجع والعلماء يومذاك.

تدريسه وتلامذته

شمل تدريسه مختلف المستويات، وامتاز بأسلوب علمي رصين ومتقن، وقد حضر عنده للدراسة جمهرة من طلبة العلم الأفاضل الذين نبغوا وذاع صيتهم في النجف الأشرف وخارجها، وصار لهم شأن كبير ومنزلة علمية سامية فيما بعد، أمثال: العلامة السيد محمد تقي بحر العلوم، والشيخ قاسم حرج، والشيخ عبد الحسين القرملي، والشيخ موسى كاشف الغطاء، والشيخ موسى آل نجف، والشيخ كاظم السوداني، والسيد ضياء بحر العلوم، والشيخ محمد حسين سميسم، والشيخ مولى نجف، والسيد جواد الغريفي، والشيخ عبد الهادي الدجيلي، والسيد صادق الهندي.

جوانب من سيرته

بدأ العلامة السيد هادي الصائغ حياته في مدينة النجف الأشرف طالباً للعلم كما ذكرنا، ثم تخرج عالماً فاضلا فقيهاً محدثاً أديباً وأصبح من العلماء الذين يشار إليهم بالبنان في محيطه، وقد عرف عنه شدة الورع والتقوى والاشتغال بأعمال الآخرة منذ شبابه، ومن صفاته الواضحة ميله للطبقات الفقيرة في المجتمع وحرصه على التقرب منها والاختلاط بها والدفاع عن مصالحها، وله مواقف عديدة تروى في هذا الجانب، كما كان من الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر طيلة حياته، فما أن يشاهد أمراً

مخالفاً للشريعة حتى يستنكره ويرشد صاحبه للصواب.

نزل السيد الصائغ مدينة المسيب سنة ١٣٤٩هـ/١٩٣٠م استجابة لأمر صدر له من المرجع الأعلى السيد أبي الحسن الأصفهاني – قدس سره الشريف - ليكون وكيلاً عنه في تبليغ الأحكام الشرعية فيها، فسكن بيتاً صغيراً ومتواضعاً في زقاق مكتظ بساكنيه؛ دعي بأسمه منذ اليوم الأول لحلوله فيه، ويقع هذا الزقاق في جوار صدر المجرى القديم لنهر الناصرية بمحلة الشيوخ في جنوبي المدينة، وكان أهم ما في بيته حجرة المكتبة التي امتلأت رفوفها بمجلدات الكتب المتنوعة، وكانت تبهر الداخلين لها، فكان يقضي معظم أوقاته في البحث والكتابة فيها، وطالما وصف تلك المكتبة وغيرها بـ (بستان العلماء)، وقد أتخذها أيضاً ملاذاً لراحته، وأستقبال ضيوفه من العامة والخاصة وقد زاره فيها وفد من علماء الجامع الأزهر سنة ١٣٧١هـ / ١٩٥٢م. وكان متبحراً في اللغة العربية، وله اطلاع واسع في علومها المختلفة، ولحدة ذكائه وقوة حافظته وكثرة الرجوع إليه في معرفة فصيح الألفاظ والمفردات في اللغة العربية واشتقاقاتها ومعانيها وإجابته عليها عن ظهر قلب كان يوصف بـ (القاموس في اللغة)، وقد مارس تدريس اللغة العربية بكفاءة ومتطوعاً في متوسطة المسيب عند إنشائها سنة ١٩٤٤م لوجود نقص في كادرها التعليمي، فكان محل احترام وتقدير مديرية معارف لواء الحلة آنذاك.

وبعد وفاة المرجع السيد أبي الحسن الأصفهاني قدس سره سنة ١٣٦٥هـ / ١٩٤٦م وإسناد أمر المرجعية العامة إلى السيد محسن الحكيم قدس سره الذي كان يحتفظ للمترجم له بمنزلة خاصة وأثيرة في نفسه، فأقرّه على وكالته في مدينة المسيب، فواصل سيرته الحسنة بين الأهالي الذين اصطلحوا على تسميته بـ (السيد هادي العالم)، وقد وصفه الشيخ علي القسّام في سِفره المطيّب "بأنه من المجاهدين المجتهدين والمعترف بفضيلته" ثم أضاف "كان عقيماً لم يترك ولداً، فكان خلفه أعماله الصالحة وآثاره النافعة، لم يملك من حطام الدنيا سوى البيت الذي كان يسكنه في حياته، ومضى إلى جوار ربه نقي الثوب جاهزاً بصالح أعماله رحمه الله"، كما ذكره أحد أدباء المسيب المعاصرين له في يومياته فقال "بأنه سيد جليل، وعالم ديني فاضل، وفد إلى المسيب مخولاً من المرجعية في النجف الأشرف، وعاش في المسيب سنوات عديدة بوداعة وتواضع".

أعماله

من أهم أعماله الباقية في مدينة المسيب بناؤه حسينية كبيرة فيها افتتحت يوم ١٣ رجب (ذكرى ولادة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام) سنة ١٣٦٥هـ / ١٩٤٦م، وكان حفل افتتاحها يوماً مشهوداً ومهرجاناً ثقافياً كبيراً حضرته الوفود وجموع الأدباء من المدن العراقية المختلفة، وقد جعل هذه الحسينية مؤسسة خيرية عامة تقام فيها الصلوات والمآتم ومجالس الفاتحة، ومحطة أستراحة للعابرين من الزوار الغرباء وعابري السبيل، وكان له فيها مجلس يومي للمتعلمين والمسترشدين

بأحكام الشريعة، وقد ارتبط إسم هذه الحسينية بإسمه منذ تأسيسها، وسجل ذلك في بيتين من الشعر كتبا بالقاشاني فوق بابها الخارجي، وهما:

خير دار على الهدى أسستها
كف هادي الورى بأمضى العزائمْ
فازدهت بالحسين مذ أرخوها
(أيّ دارٍ تقام فيها المآتمْ)
١٣٦٥هـ

ومازالت هذه الحسينية قائمة إلى يومنا الحاضر بعد أن جددت عمارتها مرتين.

ومن أعماله الخيرية الأخرى وهي كثيرة في مدينة المسيب سعيه المشكور بتجديد عمارة جامع العلاوي الذي تداعت بنايته لقدمها، فبادر السيد الصائغ بحث الناس وجمع التبرعات، وأعاد البناء مع توسيع صغير في مساحة الجامع سنة ١٣٧٢هـ / ١٩٤٧م.

مؤلفاته

صنف العلامة السيد هادي الصائغ مجموعة من المؤلفات القيمة في شتى فروع العلم والمعرفة، لكن – للأسف الشديد - لم ير النور منها سوى كتاب واحد فقط هو كتاب (هداية المسترشدين إلى معرفة أحكام الدين) المطبوع في مطبعة الجامعة ببغداد سنة ١٩٤٩، وهو رسالة عملية في العبادات.

أما مؤلفاته المخطوطة فهي كثيرة جدا ناهز عددها على المئة والخمسين كتاباً أو دراسة مستقلة إلا أن الذي يؤسف له أنها تفرقت وأختفت بعد وفاته، وبيعت مكتبته الثمينة وبضمنها مخطوطاته القيمة. ولقد حفظت لنا بعض المصادر كالذريعة أسماء عدد منها مثل: كتاب الرجال، وعمدة الأعمال وخيرة المقال في الأدعية، والكشكول، ونجاح المأمول بمهمات المعقول أرجوزة في الفين وخمسمئة بيت في المنطق، ونخبة المقال في علم الرجال ارجوزة تقع في ألفين وخمسمئة بيت، وباب الأبواب في معرفة علم الأعراب أرجوزة في النحو، والبغية أرجوزة في الضوابط الفقهية وتقع في ما يقرب من تسعمائة بيت، و أحسن الغنائم في شرح شواهد أبن الناظم، والأنوار المضيئة في شرح المقصورة الأزرية، تحفة الأقران في علمي المعاني والبيان، والدرة البيضاء في شرح خطبة الزهراء، وشرح الأرجوزة الأعسمية، وشرح الجعفرية في الصلاة، وغاية الإحكام في آيات الأحكام، وشرح زبدة الأصول، ومضامير الأمتحان وغيرها.

ويجدر بنا أن نذكر في هذا المقام مهارته الفائقة في الخط والتجليد، إذ كان يخط كتبه ويجلدها بنفسه، وقد ورث ذلك عن أسرته التي اشتهرت بفن الخط.

وفاته

لبى نداء ربّه بالمسيب يوم الثلاثاء ٢١محرم سنة ١٣٧٧هـ الموافق ٢٠ آب سنة ١٩٥٧م، وخرجت المدينة بأسرها رجالاً ونساءً، كباراً وصغاراً في موكب عزاء خلف جنازته، وقد ارتفعت أصوات العويل والنواح عليه، ثم نقل جثمانه الطاهر إلى النجف الأشرف ودفن في الصحن الحيدري المقدس، وقد نعته الصحافة حينها، وأقيمت مجالس

الفاتحة على روحه الطاهرة في مدن النجف الأشرف وكربلاء المقدسة والمسيب وطويريج وفي حسينية الكريعات ببغداد، وأقيم له حفل تأبيني كبير بمناسبة مرور أربعين يوماً على وفاته تبارى فيه الخطباء والشعراء على بيان فضله وعلمه وزهده وتعداد مناقبه وسجاياه الحميدة التي أدخلت محبته القلوب، وأودعت أسمه في سجل الخالدين.

أهم المصادر التي ذكرته

خصّه صاحب هذه الكلمات بكتاب مطبوع حمل أسم (العلامة الزاهد السيد هادي الصائغ) بتقديم العلامة السيد علاء الدين الموسوي الغريفي، وترجم له أيضاً في كتابه المطبوع (تراجم علماء المسيب وخطبائها المنبريين) ص٦٠-٨٠، وورد ذكره في: مصفى المقال للشيخ أغا بزرك الطهراني ص ٤٨٧، ومعجم المؤلفين ١٢٥/١٣، ومعجم مصنفي اللغة العربية ص٦٥٧، وكلاهما لمحمد رضا كحالة، ورجال السيد بحرالعلوم ٢٠/١، وشعراء الغري لعلي الخاقاني ٧٣/٧، وماضي النجف وحاضرها لجعفر محبوبة ٧٠/٣، والسيد محسن الأمين بقلمه وأقلام الآخرين للسيد حسن الأمين ص٥٦، والسِفر المطيّب في تأريخ مدينة المسيّب للشيخ علي القسّام ص٥٦، ومعجم المؤلفين العراقيين لكوركيس عواد ٤٢٢/٣، ومشاهير المدفونين في الصحن العلوي الشريف للمرحوم كاظم عبود الفتلاوي ص٣٨٥، وغيرها من المصادر المطبوعة والمخطوطة الكثيرة ■

فضل الله سبحانه . .

جلس رجلان قد ذهب بصرهما على طريق أم جعفر زبيدة العباسية لمعرفتهما بكرمها. فكان أحدهما يقول: اللهم ارزقني من فضلك..

وكان الآخر يقول: اللهم ارزقني من فضل أم جعفر.

وكانت أم جعفر تعلم ذلك منهما وتسمع، فكانت ترسل لمن طلب فضل الله درهمين، ولمن طلب فضلها دجاجة مشوية في جوفها عشرة دنانير. وكان صاحب الدجاجة يبيع دجاجته لصاحب الدرهمين، بدرهمين كل يوم، وهولا يعلم ما في جوفها من دنانير.

وأقام على ذلك عشرة أيام متوالية، ثم أقبلت أم جعفر عليهما، وقالت لطالب فضلها: أما أغناك فضلنا؟

قال: وما هو؟

قالت مائة دينار في عشرة أيام، قال: لا، بل دجاجة كنت أبيعها لصاحبي بدرهمين.

فقالت: هذا طلب من فضلنا فحرمه الله، وذاك طلب من فضل الله فأعطاه الله وأغناه.

ما شاء الله ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

الشيخ موسى دعيبل

من أساطين الفقه

محمد دعيبل •
كاتب وإعلامي

ينابيع تمهيد

(**هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون**)، (**العلماء ورثة الأنبياء**)، آية من كتاب الله تعالى وحديث عن الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله، إذ يوحي الحديث الشريف إلى أهمية العلم ومكانة العلماء، وكيف أنه لابد على الأمة أن تعي هذا المبدأ وأن تتفاعل معه بكل قوة، إذ من الطبيعي القول إن علاقة الأمة بعلماء الدين تتناسب طردياً مع الواقع الذي تجسده هذه المنظومة العلمائية على المستوى الإسلامي وطبيعة التلاحم على مستوى الواقع الاجتماعي، ذلك لأن الدين

بطبيعة الحال يمثل قوام الحياة وبدونه تعيش البشرية حياة وحشية قاتلة، ففي الوقت الذي تؤكد فيه المرجعية عنوانها الإسلامي وتعيش لمبدئها ورسالتها، وتحمل أهداف الأمة، فتعيش آلامها وآمالها وتضع الحلول لمشاكلها من وحي عقيدتها ورسالتها الإسلامية فإن الأمة تبادلها ذلك الموقف بالمزيد من الالتفاف والتأييد والتحرك باتجاه تحقيق الأهداف المرسومة من قبل قيادتها الإسلامية. وقد عاشت أمتنا هذه التجربة الرائدة في حياتها منذ العصر الإسلامي الأول، حيث تخرج من مدرسة أهل البيت عليهم السلام جهابذة العلماء وأساطين العلم ليس في علوم الفقه فحسب بل تعدى الأمر إلى العلوم الأخرى المتنوعة، وقد اتخذت هذه المنظومة مساراً آخر بعد غيبة الإمام القائم بالأمر (عجل الله فرجه) حيث انفتح باب الاجتهاد طبقا لما أكدته الروايات التي نقلت عن أهل بيت العصمة، وإذا تصفحنا التاريخ ملياً نجد أن الإسلام اهتم جل الاهتمام بهذه الشريحة المتقدمة في الأمة وقد أشار الكتاب الكريم والسنة الإسلامية إلى ذلك، كما تقدم في بداية الكلام، بيد أن علاقة الأمة بعلمائها متى ما كانت مبنية على أسس رصينة تؤول إلى تأسيس نظام حياتي متكامل يوفر للبشرية الحياة الحرة الكريمة وبلوغ سعادة الدارين الدنيا والآخرة، كما أن مقياس تقدم الأمم ونهوضها يرتبط بالمديات الواسعة لتلك العلاقة ومدى مصداقيتها في أرض الواقع، ذلك لأن الشريحة العلمائية تمثل الامتداد الطبيعي لرسالة السماء المتمثلة بخاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله وأهل بيته الميامين الأطهار عليهم السلام، إذ لاريب ان المنظور الاسلامي يؤكد ان موقع هذه المنظومة في قلب الحدث الحياتي وانها هي التي تقود الأمة نحو شاطئ الأمان، إذ لا تتوقف مهام العالم الديني على تبليغ أحكام الشريعة السمحاء فحسب، بل يتعدى الأمر إلى ميادين الحياة كافة، كما أشرنا إليه سلفاً. ومن اساطين العلم والفقه في مدينة أمير المؤمنين عليه السلام هو الشيخ موسى آل دعيبل قدس سره.

نبذة مختصرة

ولد شيخنا الجليل موسى ابن الشيخ عمران ابن الحاج أحمد بن محسن

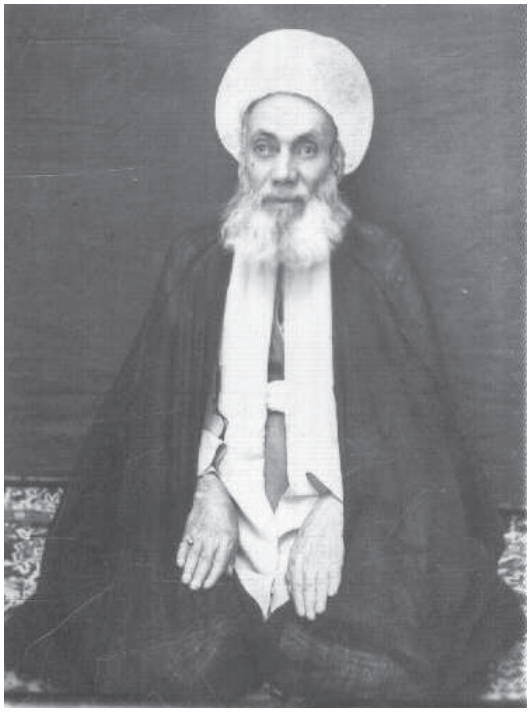

الخفاجي من أسرة آل دعيبل التي يرجع نسبها إلى عمران بن شاهين وهو عالم جليل وفقيه متورع وأديب لامع. وأسرة آل دعيبل من الأسر النجفية التي سكنت المدينة المقدسة في القرن الحادي عشر الهجري ولاريب أن مدينة (النجف الأشرف) تمثل كعبة العلم والعلماء إذ أن هذه المدينة المقدسة وبفضل وجود مرقد أمير المؤمنين عليه السلام كانت ولا زالت وستبقى منارة العلم والفكر وموئل الثقافة والأدب ومنهل الإبداع والأصالة.

نشأ شيخنا المترجم له وترعرع في هذه المدينة العظيمة وعُني به والده الفقيه الشيخ عمران الذي كان يعد من فقهاء عصره البارزين، فأخذ عنه وعن جملة من علماء عصره وفقهائه منهم: الشيخ محمد رضا شمس الدين والسيد محسن الأمين والشيخ مرتضى كاشف الغطاء والشيخ عبد الهادي شليلة والسيد كاظم اليزدي والشيخ أحمد كاشف الغطاء، حتى صار من الفقهاء وأجيز بالاجتهاد.

وقد حضر عنده جملة من أهل الفقه والفضل وهو يدرس السطوح التي اختص بها لاسيما اللمعتين والشرائع وما إليها أمثال الشيخ عبد الكريم الشرقي والشيخ محمد تقي الفقيه والشيخ عبد المولى الطريحي وآخرون.

مكانته العلمية

درس الشيخ موسى دعيبل مرحلة المقدمات على بعض فضلاء ذلك العصر أمثال السيد محسن الأمين، ثم اتصل بفريق من مراجع الدين آنذاك أمثال السيد اليزدي، والشيخ أحمد كاشف الغطاء والإمام السيد محسن الحكيم، وقد حصل على درجة الاجتهاد بكل جدارة، ولكنه أبى أن يتقلد منصب المرجعية الدينية آنذاك، فكان شديد الورع من تحمل أعباء المرجعية ومسؤولياتها ـ كما ينقل لنا أحد أبنائه ـ لذا كرس جهده منشغلاً بالتدريس والتأليف والتحقيق، كما أنه كان يؤم المئات من المصلين في إحدى المساجد الرئيسة في مدينة النجف الأشرف.

مؤلفاته

له مؤلفات لازالت مخطوطة منها حواش كثيرة على كتب الدرس، وكتاب عن الطب الغذائي، كما أن له شعر كثير، ولعل الله تعالى يوفقنا لأن نحقق في ذلك التراث الخالد كي يرى النور إن شاء الله تعالى.

نماذج من شعره

لشيخنا المترجم كثير من الشعر، إذ كان يجيد الشعر ببراعة فضلاً عن كونه عالماً في الفقه كما امتاز شعره بكونه رقيق الحاشية وله مقطوعة بذكرى عيد الغدير الأغر يقول فيها:

أرى في الحمى برق السرور تألّقاً
وبدر هدى الإسلام في الأفق أشرقا
وأجفان عين المؤمنين قريرة
ودمع جفون الناصبين تدفقا
بيوم به أهل الولاء تباشروا
لنصب إمام نوره الكون طبّقا
وجاء به اليوم أكملت دينكم
وأتممت نعمائي فويلٌ لمن شقى
وبلّغْ جهاراً في (علي) رسالتي
ويعصمك الرحمن ممن تزندقا

فنادى منادي المصطفى باجتماعهم
وكان إذاً حرَّ الظهيرة محرقا
وقال ألا من كنت مولاه منكم
فهذا علي الفخر مولاه مطلقا
ومن قد غدا ميلاده وهو معجزٌ
بأكرم بيت كان من قبل مغلقا
ومن خصَّه الرحمن بالطهر فاطم
ولولاه ما قد كان للطهر أليقا
أخا المصطفى ما خنته يوم مشهدٍ
غداة له أعطيت عهداً وموثقا

أبو ذر الغفاري

امتازت حياة الشيخ موسى والذي لقبه الناس بأبي ذر الغفاري، وذلك لزهده وورعه كما تقدم بطريقة خاصة وفريدة عن أقرانه العلماء في عصره في تدريس طلبة العلم إذ يجمعهم في حلقات طويلة ويثير فيهم أسئلة الحلقة ويجعلهم يجيبون بأنفسهم فالطالب يسأل ويجيب عن سؤاله بطريقة استدلالية وقد سئل عن ذلك فأجاب كي يصحبوا مجادلين لأن المجادل كما في رأيه يحفر عميقاً ويحصد عميقا فعاش المعلم المستنير وكل مؤلفاته كانت كذلك.

نكات وكرامات

حدثنا العلامة الخطيب الجليل الشيخ شاكر القرشي والذي عاصر الشيخ موسى من أنه قدس سره كان قاصاً مجيداً، وكثيرا ما يتحدث في جلساته عن قصص وأثار الماضين وأحداث التاريخ وحكايات وأحوال الناس.

وذكر لنا بعض الثقات ممن عاصروا حياة الشيخ عن كرامات اختص بها وهي عديدة لا تقل شأناً وأهمية وعظمة عن الكرامات العديدة التي حظي بها علماؤنا الأفاضل وفي مقدمتها كان يقضي حاجة المحتاجين رغم عدم امتلاكه ما يلبي لهم حاجاتهم فقد كان يدعو الباري عز وجل طبقاً لقوله تعالى (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعاني فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون). وفي جانب آخر ذكر لنا نجل الخطيب الشيخ نعمة الساعدي رحمه الله نقلاً عن والده من أنه وفي يوم من الأيام كان الشيخ هادي الساعدي والشيخ موسى دعيبل في سفر لزيارة كربلاء المقدسة سيراً على الإقدام، وعند استراحتهما في مكان ما أثناء الطريق عطش كل منهما ولم يجدا ماء، فجلسا ينتظران حتى أقبل عليهما رجل لم يعرفاه وقدم لهما الماء وهو غير متوفر آنذاك، وعندما شربا الماء اختفى ذلك الرجل.

فجأة فاعتقد كل منها من أن الرجل المعني الذي جاء لهما بالماء هو الإمام المهدي (عجل الله فرجه) أو أحد الأبدال وقد أرسلته الرحمة الإلهية إليهما لقضاء حاجتهما وسد عطشهما، أقول: (إن هذا ليس غريباً على رجل أطاع الله تعالى في علمه وعمله فكان حقاً على الله عز وجل أن يفيض عليه من رحمته التي وسعت كل شيء) ومن أمثال ما ذكرناه كثير.

قبيل الوداع

أحببنا ان نبين للقارئ الكريم ما ورد على لسان الأستاذ الباحث محمد علي الملحة في مخطوطته من رجالات النجف الأشرف ص١٦٠ جاء فيها (لاقت بعض النفوس هوى في هكذا مستهلات وكانت الأكثرية في النجف الأشرف لأن

الوقــت آنذاك كان يعيش حالة اقتصادية سـيئة فرضتها ظروف سياسية معروفة أسـبابها إذ تنفسـت بعض الشـيء مما كانت تعانيه من الكبـت والحرمان بينما فئة أخرى مـن الناس وهي الأقل ما كان يروق لها هذا المنظر الحاشد وقد تجلل بالكبريـاء والعظمى وبأبهـى صورة من التحدي كما لـو كان (أبو ذر) حقيقة حيا وهـو يقود الجماهير قبـل أكثر من ألف سنة فاندفعت تدافع عن نفسها لتبرر ما كانت تقوم به من مارسات جلبت لها هذا السـخط والانتقاد من أغلبيـة الفقراء، فرحم الله الشـيخ موسـى وأجـزل له العطاء والثواب).

قال البـاري عز وجل في محكم كتابه العزيز المجيد:

بسم الله الرحمن الرحيم (إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور) (فاطر: ٢٨) صدق الله العلي العظيم

قـال ﷺ: (إذا كان يـوم القيامة وزن مداد العلمـاء بدماء الشـهداء، فيرجح مداد العلماء على دماء الشهداء)[١]، وعن أمير المؤمنيـن عليه السلام: (العلمـاء باقون ما بقي الدهر)[٢].

وفـاته

لبى الشـيخ موسـى نداء ربه العظيم يوم الخميـس ٢٩ ذي القعدة عام ١٣٨٧ وشيع تشييعاً قلّ له النظير حيث خرجت الناس يعلوها الحزن وهي تلطم الصدور وتصرح علـى فقدان شـيخها المفضال العالـم الزاهد (أبـي ذر زمانه) ونظمت مواكب العزاء وهي تردد أثناء التشـييع كلمات المرحوم فاضل الرادود:

هذا أبو ذر الغفاري بهالعصر
طلّق الدنيا قصر

فرحمة الله تعالى عليـك يا أبا جابر وعوض الإسلام والمسلمين بفقده، ذلك لأن موت العالم يجعل في الإسـلام ثلمة كما ورد عن سـيد البلغاء والمتكلمين عليه السلام قوله (إذا مات العالم انثلم في الإسـلام ثلمة لا يسدها إلا خلف له) ■

(١) أمالي الشيخ الطوسي ص:٥٢١.
(٢) مستدرك سفينة البحار ج٧.

الأخلاق عند أهل البيت عليهم السلام . . الطمع

قال رسول الله ﷺ: (**إيّاكَ والطمَعْ، فإنّهُ الفَقْرُ الحاضِرُ**) .

وقال أميرُ المؤمنين عليه السلام: (**اسْـتَغنِ عَمَنْ شِـئْتَ تَكُنْ نَظيره، وارغَبْ إلى مَنْ شِئْتَ تَكُنْ أسيرَه، وأحْسِنْ إلى مَنْ شِئْتَ تَكُنْ أميرَه**) .

وقـال الإمام الباقر عليه السلام: (**بِئْسَ العبدُ عبدٌ لَهُ طَمعٌ يقـودُه، وَبِئْسَ العبدُ عبدٌ لَهُ رَغبَةٌ تُذِلُهْ**) .

وقيل للإمام الصادق عليه السلام: ما الذي يُثبِتُ الإيمانَ في العبدِ: قال عليه السلام: (**الورع، والذي يخرجه منه الطمع**).

علاقة الإمام الصادق(ع) بالعلويين

• حيدر الحد

ينابيع تتسم العلاقات التي تربط الإنسان بأفراد عشيرته أحيانا بنوع من الحساسية، وغالباً ما يكون المسبب لذلك المشاكل الطارئة المادية منها أو المعنوية، حيث تؤثر تأثيراً مباشراً على التواصل والتقارب بين طرفي هذه العلاقة.

بمرور الوقت يبقى المسيطر على الطرفين هاجس معين يحاول جاهداً تارة التقريب بينهما، وأخرى يبعدهما إلى درجة تنذر بالقطيعة الدائمة، فلا تواصل أو لقاء في فرح أو ترح وكأن وشائج الرحم وأواصر القربى تحولت إلى حالة مضطربة تتحكم بها ثنائية النفور - الحقد التي تلغي المصالحة والأمل بالعلاج شيئاً فشيئاً حتى تكون محصلة ذلك موت العلاقة ووأدها في مقبرة الإحن والإضغان.

ولكن الإمام الصادق عليه السلام يسير في سلوكه تجاه أقاربه بشكل عام، والذين تجرؤا عليه وأضمروا له السوء، وكان هو عليه السلام على عكس ذلك تماماً، فهو المبادر وإن ألغى الآخر المبادرة، ولنا بين هذا وذاك وقفة نستجلي بها ما سطره التاريخ من مواقف نبيلة حملت بصمة الإمام الصادق عليه السلام لتبقى محفورة في النفوس كما هي مخلدة في الكتب، تعطي درساً بليغاً في كيفية إدارة العلاقة الأسرية مع أبناء العشيرة، الكيان الذي ينتمي إليه الفرد وبه يقوى في مواجهة المشاكل الاجتماعية متى ما برزت على السطح وانتشرت.

أول ما نلمح من نوع في علاقته مع الهاشميين هي العلاقة مع عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الإمام الحسن السبط، فقد كان عبد الله يرى

في ولده محمد أهلاً ليكون خليفة علوياً، تطمح إليه النفوس وترنو إليه العيون، وتعلق عليه الآمال في استعادة الحق السليب وذلك بعدما لاحت في الأفق القريب تباشير زوال الخلافة الأموية، ولكن الإمام الصادق عليه السلام حذره مما يتمناه وأخبره أن الخلافة ستجر أذيالها نحو العباسيين شاء عبد الله أم أبى، فظن عبد الله أن الصادق عليه السلام يحسد ولده، فقابل الإمام عليه السلام بكلمات قاسية يصعب على المقابل تحملها، وما ذلك إلا لعدم إدراكه حكمة الإمام من خلال بذل النصح ومحاولة تجنيب الأسرة الحسنية عملية الإبادة الشاملة التي تعرضت لها فلم تترك سوى الأطفال والصبيان.

ولما رأى الإمام ما فُعل بآل الحسن جلس حزيناً كئيباً يبكي لما حدث لأبناء عمه، وهذا ما نقلته لنا خديجة بنت عمر الأشرف بن الإمام علي السجاد عليه السلام حيث قالت: (لما وقفوا عند باب المسجد ـ أي بنو الحسن ـ أطلع عليهم أبو عبد الله (الصادق) وعامة ردائه مطروح بالأرض ثم اطلع من باب المسجد وقال: (لعنكم الله معاشر الأنصار ثلاثاً ما على هذا عاهدتم رسول الله ولا بايعتموه، أما والله إن كنت حريصاً ولكني غُلبت وليس للقضاء مدفع، ثم قام وأخذ إحدى نعليه فأدخلها رجله والأخرى في يده وعامة رداءه يجره في الأرض، ثم دخل بيته فحمّ عشرين ليلة لم يزل يبكي في الليل والنهار حتى خفنا عليه)[1].

وهذا النص كشف عن لوعة الإمام بفقده بني عمه وما سيؤول إليه أمرهم، وقد بين عليه السلام نصحه لهم من خلال قوله:

(أما والله إن كنت حريصاً)، فلم يدخر وسعا في ثني عبد الله المحض وولديه عما كان يراود آمالهم.

أما علاقته عليه السلام مع الحسينيين - وهو فرع منهم - فتتمثل بوضوح مع عمه زيد بن علي عليه السلام، الذي كان يترحم عليه كلما يتذكره فيذرف الدمع، فقد نقل لنا فضيل عن الإمام الصادق عليه السلام قال: (دخلت على أبي عبد الله بعدما قتل زيد بن علي فأدخلت بيتاً في جوف بيت، فقال: يا فضيل قُتل عمي زيد، فقلت: نعم جعلت فداك، فقال: رحمه الله، أما إنه كان مؤمناً وكان عارفاً وكان صدوقاً أما إنه لو ظفر لوفى أما أنه لو ملك لعرف كيف يضعها)[٢].

مما تقدم يمكن لمس الجانبين التاليين: إن عبارة فضيل: (...فأدخلت بيتاً في جوف بيت) تدل على مدى الإرهاب الذي مارسه الأمويون اتجاه الإمام الصادق عليه السلام، والظاهر إن الإمام كان مراقباً من عيون الأمويين، وربما كان مقتل زيد جعل الأمويون يرصدون تحركات الإمام نتيجة لمساندته عليه السلام عمه الثائر ضد حكمهم المستبد.

إبراز صفات زيد بن علي على لسان الإمام مما يمنع التقولات على شخصيته ومشروعية حركته وقد أحكم الإمام ذلك بقوله عليه السلام: (أما أنه لو ظفر لوفى).

أما النص الآخر الذي يبين حزن الإمام عليه السلام لفقده عمه فهو: (لما بلغه قول الشاعر حكيم بن العباس الكلبي:

صلبنا لكم زيداً على جذع نخلة
ولم أر مهدياً على الجذع يُصلبُ
وقستم بعثمان علياً سفاهة
وعثمان خير من علي وأطيبُ

فرفع الصادق عليه السلام يديه إلى السماء وهما يرتعشان فقال: (اللهم إن كان عبدك كاذباً فسلط عليه كلباً) فبعثه بنو أمية إلى الكوفة فبينما هو يدور في سككها إذ افترسه أسد واتصل خبره بجعفر فخر لله ساجداً ثم قال: (الحمد لله الذي أنجز لنا ما وعدنا)[٣].

ولما جاءه نبأ مقتل ابن عمه يحيى بن زيد، بكى واشتد وجده به وقال: (رحم الله ابن عمي وألحقه بآبائه وأجداده)[٤].

أما الحسين بن زيد فقد رباه وكفله بعد قتل والده، فقد كان صغيراً ولما شب وترعرع غذاه من لباب علمه حتى عده الرجاليون واحداً من أصحابه الذين يروون عنه عليه السلام[٥].

ولكنه عليه السلام عانى كثيراً من عيسى بن زيد لما أجبره على مبايعة محمد بن عبد الله المحض وهدده بالسجن تارة وبالقتل أخرى إن لم يفعل، متجاهلاً تماماً موقع الإمام الريادي في الأمة الذي يمثل أمتداداً طبيعياً للنبوة، ولما ضاق عليه السلام ذرعاً بتصرفات عيسى وكلماته غير المؤدبة، كان لابد له عليه السلام أن يحسم الأمر فقال له: (يا أكشف يا أزرق لكأني بك تطلب جحراً تدخل فيه وما أنت من المذكورين في اللقاء، وإني أظنك إذا صفق خلفك طرت مثل الهيق[٦] النافر[٧])[٨].

لقد أخبر الإمام عليه السلام فيما تقدم عن مغيب وقع بالفعل، فلم تمض الأيام حتى فشلت حركة محمد بن عبد الله وقتل، ففر عيسى الذراع الأيمن لمحمد ولا يدري أين يختبأ من طلب العباسيين حتى أدى به الأمر إلى التخفي بالكوفة، متخذاً من سقاية الماء ونقله على راحلته مهنة يقتات منها إلى أخر أيام حياته.

وهكذا عاش الإمام الصادق عليه السلام صائناً حق القرابة، مؤدياً صلاتها إلى حين وفاته عليه السلام فقد (قالت سالمة مولاته: كنت عند أبي عبد الله حين حضرته الوفاة فأغمي عليه، فلما أفاق قال: أعطوا الحسن (الأفطس) بن علي بن علي (السجاد) سبعين ديناراً، وأعطوا فلاناً كذا وكذا فقلت: أ تعطي رجلاً حمل عليك بالشفرة يريد أن يقتلك، فقال: تريدين أن لا أكون من الذين قال الله عز وجل: (الذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل)، نعم يا سالمة أن الله تبارك وتعالى خلق الجنة، وطيّبها وطيّب ريحها، وأن ريحها ليوجد على مسيرة ألفي عام ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم)[٩].

يبين النص السابق مدى التسامح الذي يحمله الإمام، فيأمر لمن أراد قتله قبل سنين بأموال، وهو بذلك يجسد مثالاً صادقاً في صلة الرحم.

كما قال أبو بصير: دخلت على أم حميدة (زوجة الإمام) اعزيها بأبي عبد الله، فبكت وبكيت لبكائها ثم قال: يا أبا محمد لو رأيت أبا عبد الله عند الموت، لرأيت عجباً، فتح عينيه، ثم قال أجمعوا كل من بيني وبينه قرابة، قالت فما تركنا من احد إلا جمعناه، فنظر إليهم ثم قال: إن شفاعتنا لا تنال مستخفاً بالصلاة)[١٠]، وفي هذا الحديث نرى:

حرصه عليه السلام على حضور أقربائه عنده في ساعاته الأخيرة.

أن يبلغ الحاضرين من العلويين أن القرابة ليست مدعاة للاعتماد على الشفاعة ■

المصادر

(١) الكليني، الكافي، ٣٦١/١.
(٢) المجلسي، البحار، ٣٢٥/٤٧.
(٣) ابن شهراشوب، المناقب، ٣٦٠/٣
(٤) الصحيفة السجادية، ص١٠.
(٥) ابن عنبة، عمدة الطالب، ص٢٦٠.
(٦) الهيق، الظليم، أو ذكر النعام والتعبير عن سرعة ذهابه.
(٧) الشارد.
(٨) الكليني، الكافي، ٣٦٣/١.
(٩) المصدر السابق، ٥٥/٧.
(١٠) الحر العاملي، الوسائل، ٢٦/٤.

طروحات عامة

صحافة الحلة

منذ نشأتها حتى

١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م

أ. د. صباح نوري المرزوك •

كلية المعلمين الأساسية/ جامعة بابل

مدينة الحلة في عشرينيات القرن الماضي

ينابيع

نشر المؤرخ المعروف يوسف كركوش في الجزء الأول من كتابه (تاريخ الحلة) قائمة ضمت أسماء عدد من الصحف والمجلات التي صدرت في الحلة، وتعد هذه القائمة إسهاماً واضحاً في حصر النتاج الصحفي في الحلة رغم أن السيد عبد الرزاق الحسني في كتابه (تاريخ الصحافة العراقية) لم يأت على ذكر كل ما صدر في الحلة من صحف ومجلات، إلا أن ما صدر من كتب تخص تاريخ الصحافة العراقية مثل كتاب (كشاف الجرائد والمجلات العراقية) للأستاذة زاهدة إبراهيم وكتاب (الموسوعة الصحفية العراقية) للأستاذ فائق بطي أضافت معلومات سدت بعض النقص

وبقيت الحاجة إلى الوقوف على اسماء تلك الصحف والمجلات والاتصال بالأحياء أو ورثة الأموات منهم ومحاولة الحصول على نسخ هذه الصحف والمجلات ومعرفة ما فقد منها بسبب عاديات الزمن ونوع ورق الصحف والظروف السياسية التي مرت بقطرنا العزيز يضاف إلى ذلك أنه ليس هناك تجميع لهذه الصحف في المكتبات الكبيرة المهمة والمهتمة بالدوريات في العاصمة بغداد أو كبريات المكتبات في المحافظات ورغم ذلك فإننا نجد عدداً من الصحف الحلية في المكتبة الوطنية وآخر في مكتبة المجمع العلمي العراقي والمكتبة المركزية لجامعة بغداد أو عند الأفراد، ولكن الخلل يبقى قائماً بسبب عدم الحصول على مجاميع كاملة من هذه الدوريات.

تؤكد الدراسات التي تؤرخ الصحافة في الحلة أن يوم الخميس ٢٣/رجب/١٣٤٥هـ = ٢٧/كانون الثاني/١٩٢٧م كان موعد صدور العدد الأول لأول صحيفة محلية أسسها المؤرخ السيد عبد الرزاق الحسني في عهد

السيد عبد الرزاق الحسني

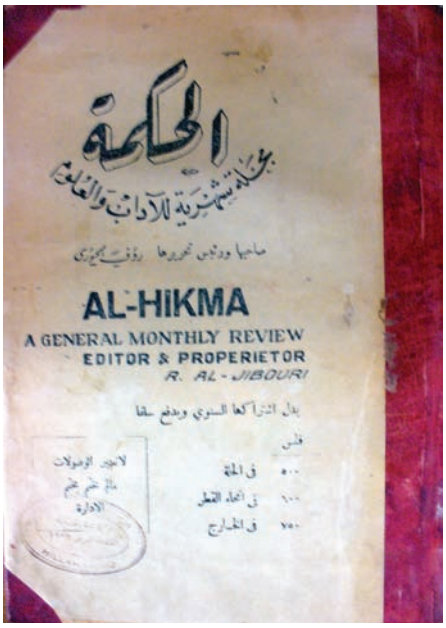

المتصرف عبد العزيز المظفر وأسماها (الفيحاء) (وهي أدبية علمية جامعة صاحبها ورئيس تحريرها السيد عبد الرزاق الحسني وكانت تصدر مرتين في الأسبوع وأغلقتها السلطة آنذاك بعد صدور خمسة عشر عدداً)، فأصدر الحسني جريدة (الفضيلة) في ١٩٢٧/٥/١٢م وحجبت بعد صدور ثمانية أعداد في ١٩٢٧/٧/٢٨م (جريدة أدبية انتقادية صاحبها ورئيس تحريرها عبد الرزاق الحسني وصدرت أولاً في بغداد ١٩٢٥م).

ثم اصدر عبد الحميد حسن (من عمال المطابع في بغداد) جريدة (حمورابي) في ٢٧/حزيران/١٩٣٥م واستمرت حتى نهاية عام ١٩٣٦م (جريدة أدبية انتقادية أسبوعية مديرها المسؤول محمد رؤوف الدهان).

أصدر رؤوف الجبوري (حقوقي وشاعر) مجلة (الحكمة) (مجلة أدبية علمية فلسفية مديرها المسؤول المحامي جلال

الحلة

عبد الرزاق، تصدر شهرياً إذ صدرت في تشرين الأول ١٩٣٦م وعطلت في وزارة بكر صدقي في آذار ١٩٣٧م بعد أن صدر منها ستة أعداد).

وفي حزيران ١٩٣٧م أصدر رؤوف الجبوري مجلة (الغد) على أنها (أسبوعية للأدب والعلوم مديرها المسؤول المحامي جلال عبد الرزاق وقد صدر منها عدد واحد فقط).

وفي ١٩٣٧/١٢/٢٧م صدرت جريدة (الحلة) (أسبوعية أدبية ثقافية، غير سياسية مديرها المسؤول المحامي جلال عبد الرزاق)، ولما التحق صاحبها طالباً بكلية الحقوق في بغداد قام بتعطيل إصدارها.

وصدر عدد واحد فقط من مجلة (العدل) للشيخ عبد الكريم رضا المعروف بـ(الماشطة) وذلك في آذار ١٩٣٨م بـ(٦٥) صفحة ويذكر كوركيس عواد في كتابه معجم المؤلفين العراقيين في القرنين التاسع عشر والعشرين أن صاحب هذه المجلة هو الذي حرر موضوعات هذا العدد جميعها

الشيخ عبد الكريم الماشطة

بقلمه وبتوقيعات مختلفة وتكون إشارة الست زاهدة إبراهيم بأن هذه المجلة هي مجلة قانونية إشارة خاطئة.

وأصدر السيد معز الدين محمد المهدي الحسيني القزويني العدد الأول من جريدة (اللواء) وهي (جريدة يومية غير سياسية مديرها المسؤول إبراهيم عودة المحامي) في ١٩٣٨/٩/٣م وبعد صدور خمسة أعداد منها سحبت الحكومة ترخيص إصدارها وذلك سنة ١٩٥٥م.

وفي أواخر ١٩٣٩م أصدر الشيخ نجم العبود مجلة (الرشاد) وهي (شهرية أدبية جامعة تعنى بشؤون الثقافة) وقد صدر عددها الرابع في ١٩٤٠/٥/٩م وبعد تعطيلها أصدر جريدته الدينية الموسومة (نعمة الرشاد).

وكان السيد هادي السيد حمد كمال

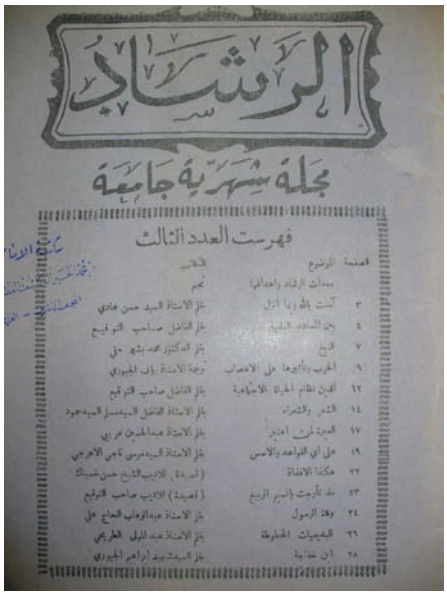
الرشاد
مجلة شهرية جامعة
فهرست العدد الثالث

الدين قد أصدر مجلة (التوحيد) وهي مجلة (أدبية دينية إرشادية) في ١٩٤٦/١/٣٠م في (٢٣) صفحة وتم إغلاقها بعد صدور سبعة أعداد ثم عاودت الصدور في ١٩٥٩/٥/٢١م وكان مجموع ما صدر (٣٧) عدداً حيث تم إلغاء امتيازها في ١٩٦١/٨/٢١م. وحاول

التوحيد
مجلة دينية ادبية جامعة
AL-TAWHID MAGAZINE
PROP. EDITOR
H. SAYID AHMAD
AL KAMALEDDIN
HILLA-IRAQ
السنة ١
العدد ٢

إعادة إصدارها في ١٩٦٣/٣/٦م لكنها لم تدم طويلاً.

وقام الشيخ باقر سماكة الحلي بإصدار جريدة (الفرات) على أنها (يومية مستقلة) وذلك سنة ١٩٤٦م وبعد أن تعرضت لانتقاد الوضع الصحي في الحلة تم حجبها. وفي شهر مايس من العام نفسه أصدرت مديرية معارف لواء الحلة نشرة (النشاط الثقافي) وهي نشرة سنوية تختص بالأخبار المدرسية الثقافية والأدبية.

وقام السيد علي القزويني بإصدار العدد الأول من جريدة (صوت الفرات) لسان حال حزب الاستقلال ـ فرع الحلة في ١٩٥٠/١٠/١١م على أنها (جريدة يومية) ثم أصبحت (أسبوعية) وتم حجبها بعد أن صدر منها (٥٣) عدداً آخرها بتاريخ ١٩٥٢/١١/٢٢م.

وكان السيد علي القزويني نفسه مديراً لمجلة (غرفة تجارة الحلة) التي صدرت عام ١٩٥٠ وتم إلغاؤها بموجب مرسوم المطبوعات في ١٩٥٤/١٢/١٣م.

أما حزب الاتحاد الدستوري ـ فرع الحلة فقد أصدر جريدة (صوت الاتحاد) عام ١٩٥٢م وكان مديرها عبد الجبار الشيخ جواد.

وظهرت جريدة (الأماني) لصاحبها السيد فاضل جميل حيث منح الامتياز لها في ١٩٥٥/٩/٧م وألغي ١٩٦٣/٢/٨م بينما أصدر الشيخ كاظم جواد الساعدي مجلة (الفيحاء) على أنها (مجلة أدبية دينية نصف شهرية) في ١٩٥٨/٦/٧م ثم صارت أسبوعية عام ١٩٦٣م حتى إلغاء إصدارها في ١٩٦٤/٨/٢١م.

وصدرت جريدة (القافلة) (جريدة أسبوعية سياسية لصاحبها الشيخ حميد سعيد الغاوي وعبد الكريم رضا الماشطة)

في ١٩٥٩/٥/١٦م ثم تحولت الى جريدة يومية وغير اسمها إلى جريدة (صوت الفرات) حتى الغاء امتيازها في ١٧/ نيسان/١٩٦٢م.

وصدرت مجلة (الساحرة) وهي (نصف شهرية جامعة من إعداد فائق محمد حسين الخليلي وشاكر محمود الرضي) ابتداءً من ٢٥/آب/١٩٦٢م.

وفي عام ١٩٦٣م صدرت أربع صحف: الأولى جريدة (الطلائع) (جريدة سياسية أسبوعية عن دار الطلائع رئيس تحريرها حميد سعيد الأمين) منحت الامتياز في ١٩٦٣/٣/١٦م وصدرت في ١٣/نيسان/ ١٩٦٣م وتوقفت في ١٩٦٣/١١/١٨م والثانية مجلة (الطالب الاشتراكي) (مجلة ثقافية اشتراكية نصف شهرية رئيس تحريرها خليل العزاوي) وصدرت في ٢٠/ مايس/١٩٦٣م والثالثة مجلة (العمل الشعبي) وهي (مجلة مصورة تعنى بشؤون الفكر أصدرتها المنظمة الوطنية للعمل الشعبي في الحلة) وصدر منها عدد واحد فقط في شهر آب ١٩٦٣م والرابعة جريدة (الحقيقة) (ثقافية اجتماعية جامعة للسيد هادي كمال الدين) صدرت في شهر تشرين الأول وكان مجموع ما صدر منها خمسة عشر عدداً وتم حجبها في تموز ١٩٦٤م.

وأصدر الاتحاد الاشتراكي العربي في لواء الحلة (الدليل الثوري) وهي نشرة شهرية صدرت في تموز ١٩٦٥م ولمرة واحدة.

وصدر عددان من جريدة (الفتوة الرياضية) (رياضية أسبوعية صاحبها السيد عبد الكريم الشكري المحامي ورئيس تحريرها عبد الإله الدباغ) صدرت في ١٩٦٧/١٠/٣١م وقد توقفت في ١٩٦٩/١/٨م، وجريدة (الأنباء) (جريدة عامة أسبوعية مصورة صاحبها السيد شاكر حيدر من أهالي سوق الشيوخ ورئيس تحريرها حسين عزيز السرحان) حيث صدرت في ١٩٦٧/١٢/١٤م وألغي امتيازها بمخالفتها قانون المطبوعات في ١٩٦٩/٨/١٢م ■

السيد هادي كمال الدين

من نوادر التاريخ..

* في بيان الفصاحة

دخلت امرأة على هارون الرشيد وعنده جماعة من وجوه أصحابه، فقالت: يا أمير المؤمنين: أقرّ الله عينك، وفرحك بما آتاك، وأتم سعدك لقد حكمت فقسطت.

فقال لها: من تكونين أيتها المرأة؟

فقالت: من آل برمك ممن قتلت رجالهم، وأخذت أموالهم، وسلبت نوالهم.

فقال: أما الرجال فقد مضى فيهم أمر الله، ونفذ فيهم قدره، وأما المال فمردود إليك، ثم التفت إلى الحاضرين من أصحابه، فقال: أتدرون ما قالت هذه المرأة؟

فقالوا: ما نراها قالت إلا خيراً.

قال: ما أظنكم فهمتم ذلك، أما قولها أقر الله عينك، أي أسكنها عن الحركة، وإذا سكنت العين عن الحركة عميت، وأما قولها: وفرحك بما آتاك، فأخذته من قوله تعالى: (حَتَّى إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُواْ أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً) وأما قولها: وأتم الله سعدك، فأخذته من قول الشاعر:

إذا تم أمر بدا نقصه ترقب زوالا إذا قيل تم

وأما قولها لقد حكمت فقسطت، فأخذته من قوله تعالى: (وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا)، فتعجبوا من ذلك.

* * * * *

* سيف أبي حية النميري

قال ابن قتيبة: حدّث جار لأبي حية النميري قال: كان لأبي حية سيف ليس بينه وبين الخشبة فرق، وكان يسميه لعاب المنية. قال: فأشرفت عليه ليلة وقد انتضاه وهو واقف على باب بيت (غرفة) في داره وقد سمع حساً وهو يقول:

أيها المغتر بنا.. والمجترئ علينا، بئس والله ما اخترت لنفسك، خير قليل، وسيف صقيل، لعاب المنية الذي سمعت به، مشهورة ضربته، لا تُخاف نبوته، أخرج بالعفو عنك، لا أدخل بالعقوبة عليك.

إني والله إن أدعُ قيساً تملأ الفضاء خيلاً ورجلا

يا سبحان الله ما أكثرها وأطيبها، ثم فتح الباب فإذا كلب قد خرج، فقال: الحمد لله الذي مسخك كلباً وكفاني حربك.

طروحات عامة

آثار تحية الإسلام في العلاقات الإنسانية

مجيد جواد الرفيعي •

ينابيع

ليس عجيباً أن يبادرك أحدهم بقوله: (صباح الخير) أو أن يقول لك: (صبحك الله بالخير) وآخر يقول لك: (مساء الخير) أو (مساك الله بالخير) أو يومئ ثالث دلالة على سلامه عليك أو يجيبك أحدهم عندما تقول له: (السلام عليكم) فيبادرك وكأن حجارة من السماء سقطت على رأسه وأحس بثقلها: (هلا)، كل ذلك ليس بعجيب ولكن العجيب أن تجد أحدهم يجيبك بتحية السماء تحية السلام والعلاقات الإنسانية: (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته) والعجيب أيضاً أن نتمسك بالظاهر ونترك الباطن الذي فيه نفع لنا بل نلتزم بالمستحب ونترك الواجب، من أجل ذلك كانت هذه المقالة وهي لبيان آثار تحية الإسلام في العلاقات الإنسانية فنقول:

التحية في كلام العرب ما يحيِّي به

بعضهم بعضاً إذا تلاقَوا، وتحية الله التي جعلها في الدنيا والآخرة لمؤمني عباده إذا تلاقوَا ودعا بعضهم لبعض بأجمع الدعاء أن يقول: السلام عليكم ورحمة الله.

قال تعالى: (وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا) (النِّسَاء ٨٦)، فالتحية أن يقال حيّاك الله أي جعل لك حياة وذلك إخبار، ثم يُجعل دعاء، ويُقال حيّى فلان فلاناً تحية إذا قال له ذلك، وأصل التحية من الحياة ثم جعل ذلك دعاء تحية لكون جميعه غير خارج عن حصول الحياة، أو مسبب حياة إما في الدنيا وإما في الآخرة.

هذا في نحو اللغة والاصطلاح أما في العلاقات الإنسانية فنلحظ أثر التحية في السنة الشريفة في المديات التالية:

١ـ إجابة الداعي: فقد ورد عن رسول اللهﷺ أن الكلام متأخر عن السلام، ففي ذلك إشعار بأن تكون العلاقة بين المسلمين ابتداءً وختاماً ضمن مدى الآداب الإسلامية، وحيث قالﷺ: (من بدء بالكلام قبل السلام، فلا تجيبوه)

٢ـ كثرة البركة: ومن الأسباب المعنوية لتحية الإسلام توارد النعمة وكثرة البركات على الإنسان المسلم في بيته، فعن أنس أنه قال: قال رسول اللهﷺ يوماً: (يا أنس أسبغ الوضوء تمرُّ على الصراط مرّ السحاب، أفشِ السلام يكثر خير بيتك، أكثر من صدقة السر فإنها تطفئ غضب الرب عز وجل).

٣ـ نيل الجنة: ومن الأسباب الأخرى لنيل الجنة ـ أي نيل رضوان الله ـ إلقاء التحية، فهنا ترغيب وحث لاقتناء النعيم المقيم.

فعن أبي عبد اللهعليه السلام أنه قال: (من يضمن لي أربعة بأربعة أبيات في الجنة: من أنفق ولم يخف فقراً، وأنصف الناس من نفسه، وأفشى السلام في العالم، وترك المراء وإن كان محقاً).

٤ـ ترك البخل: فقد قرن رسول اللهﷺ البخل بترك التحية على الآخرين.

قالﷺ: (إن أعجز الناس من عجز من الدعاء، وإن أبخل الناس من بخل بالسلام).

٥ـ نيل التواضع: التواضع محبة الآخرين والفوز برضاهم، لذلك قرنه الإمام الصادقعليه السلام بالسلام حيث قال: (من التواضع أن تسلّم على من لقيت).

٦ـ عتق رقبة: وما أجزله من ثواب لقولهﷺ: (من لقي عشرة من المسلمين فسلّم عليهم كتب الله له عتق رقبة).

٧ـ خير الأخلاق: ما أرفع درجة من التزم قمة الأخلاق وأحمز الأفعال لقولهﷺ: (ألا أخبركم بخير أخلاق أهل الدنيا والآخرة؟ قالوا: بلى يا رسول الله، فقالﷺ: إفشاء السلام في العالم) ■

المصادر

١ـ معجم مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني، ص ١٥٦ـ ١٥٧.
٢ـ تهذيب اللغة للأزهري، ج٥ ـ ص٢٩٠.
٣ـ الخصال للصدوق، ص ٩ـ ١٣ـ ٨٥ـ ١٠٦.
٤ـ أمالي الطوسي، ج١ ـ ص ٨٧ ـ ١٨٥.

طروحات عامة

الخط العربي

وإبداعاته في بلاد الأندلس

كريم نصيف الجميلي •

ينابيع

وصل المسلمون الأندلس فاتحين، ناشرين الدين الإسلامي الحنيف، سنة ٩٢ هجرية (٧١١ م) عندما فتحت الجزيرة الأندلسية، أخذ أهلها يدخلون في الإسلام أفواجا، وبأعداد كبيرة من خلال التعامل الكريم والخلق الرفيع والتسامح لدى المسلمين الفاتحين، وخلال القرون الثمانية عرفت فيها تلك الأرض الأندلسية أجود العلوم والمعارف وأفضل العلماء والأدباء وأمهر الفنانين والمصممين والمزخرفين والخطاطين فأثمر نتاجهم لأروع الفنون في مختلف المجالات ببلاد الأندلس حيث فاقت جمال حضارتها الإسلامية الحضارات الأخرى لما تحمل من روعة وجمال أخاذ يسلب العقول ويسر الناظرين ولم تكن شبه الجزيرة (ايبريا)

اسبانيا شيئاً مذكوراً قبل الفتح العربي الإسلامي وليس فيها من الفنون مايشجع على الخوض به وإذا ما نظرنا إلى واقعها قبل الفتح الإسلامي،وما آلت إليه بعده، وخاصة بعد أن صارت تحمل اسم ا لاندلس لتصبح آية من الجمال والروعة إضافة إلى أنها أصبحت تحمل الذوق الرفيع بكافة الفنون الجميلة مما شجع الأسبان أنفسهم على التخلي عن اللغة الاسبانية وتعلم اللغة العربية إضافة إلى لغتهم أوكليهما معاً وأصبحت اللغة العربية هي لغة العلوم والمعارف إضافة إلى لغة التخاطب فهم يحرصون على تعلمها لأنها أصبحت لغة الثقافة العالمية وكان اهتمامهم واسعاً فقد اقبلوا على اللغة العربية بنهم منقطع النظير فتركوا قراءة كتبهم غير المكتوبة بلغة الضاد واعتبروا اللغة اللاتينية لغة ثانية واللغة العربية هي اللغة الأولى إذ ترجمت التوراة والإنجيل إلى العربية وبها قرئ في الكنائس، و كان دخول العرب المسلمين إلى اسبانيا قد شكل انقلابا جذريا في عالم الثقافة والفكر ومع دخول الإسلام إليها دخلت الحضارة بحيث أصبح الحرف العربي يمثل كافة مرافق الحياة الحضارية والفكرية فهو سطور الكتاب وزخارف اللوحات والبيوت والمساجد والمرافق الثقافية وقصور الحكام والأمراء والسلاطين ويكتب في الكنائس وبه يقرا المسلم القران الكريم وأصبح الأدباء والشعراء والمؤرخون والفنانون من كافة

الأديـان والطوائـف في الأندلـس يكتبون باللغة العربية وبالخط الكوفي الأندلسـي حيث وجدوا بهذا الحرف وسـيلة لانتشار الثقافـة والفن البديع، وازدهرت الأندلس ونسـي المجتمع الـذي عاش فيهـا قرونا طويلة اللغة التي كانت سـائدة في الأندلس قبل دخول الإسـلام إليها ممـا دفع ملوك أوربـا إلى إرسـال أبنائهم إلـى الجامعات والمراكـز الثقافيـة فـي الأندلـس لتعلم العلوم والمعـارف باللغـة العربية والعودة إلى بلادهم بعـد إتقانها وهذا ماجعل كبار المفكريـن والمؤرخيـن يفخـرون بأيـام العرب المسـلمين وأثارهم فـي الأندلس وما أبدعت عقولهم وأفكارهم وما صنعت أناملهم.

واسـتمر الحرف العربي في الأندلس ثمانيـة قرون كان مثـالا يحتذى به للنهضة العلميـة والفكرية الرائعـة والتي أصبحت فيمـا بعـد نموذجـا للمجتمع الإسـلامي المثالي لمن أراد أن يعمل بروح الإسـلام وانتعشت أسـواق الكتب في سائر المدن الأندلسـية وخاصـة بعد اختـراع الطباعة الحجرية وأصبح في كل مدينة سوق ومزاد لبيـع الكتـب المطبوعـة والمخطوطـات العربية الإسـلامية وكان المخطوط تحفة من التحف التي تزيـن بها المكتبات والتي لايخلـو أي شـارع مـن شـوارع غرناطة وقرطبة واشـبيلية منها وأصبح المخطوط مادة علمية دسـمة لطـلاب العلم والفقهاء والأدباء والمفكرين والشعراء الذين اخذوا ينهلون من علومها ومعارفها.

وظل الملوك الذين حكموا الأندلس بعد خروج العرب وانتهاء الدور الإسلامي فيها يسـكون النقود بحروف عربيـة ويزينون ملابسـهم بالخطـوط العربيـة المذهبـة والمطـرزة بالزخـارف ذات التصميـم العربي الإسـلامي وان الخـط العربي في الأندلس لايـزال رغم مرور فتـرة طويلة يحكـي قصة المسـلمين وفنهـم وأثارهم وإبداعهم، مما جعلنـا نقف مبهورين أمام هـذه الآثار الرائعة التي تركها المسـلمون وهي لازالت شـاخصة إلى وقتنا الحاضر. ولابد لنا إن نشير إلى الخواص التي يتمتع بها الخط الأندلسي.

١ـ يتميـز بالزوايـا وهو شـديد التأثر بالخط الكوفي.

٢ـ تكثر فيه الانحناءات والاستدارات، واسـتخدم فـي كتابة المصاحـف والكتب الأندلسية.

٣ـ يحمـل حـرف القاف نقطـة واحدة فـوق الحـرف أما حـرف الفـاء فتوضع النقطة أسفله .

٤ـ نـادراً مـا تحتفـظ حـروف الألف واللام والطاء والضاد بشـكلها ألعمودي إذ كثيرا ماتكون في شـكل منحني وتحمل في أعلاها مايشبه النقطة الغليظة ■

المصادر

(١) الحجـي، عبـد الرحمـن علي، هجـرة علماء الأندلس، سنة ٢٠٠١.
(٢) ابن خلدون، المقدمة، سنة ٨٠٨.
(٣) المنونـي، محمـد، تاريـخ الخـط العربـي والزخرفة في الغرب الإسلامي، سنة ١٩٨٩.

لكل مثل قصة..

*** جزاء سنمـــار**

كان النعمان الأول بن امرئ القيس من أشهر ملوك الحيرة.

ولمـا أصبح لديـه من الجنود والمال والسـلاح ما لم يكن لغيـره من الملوك، أحضـر البنائين مـن بلاد الروم وفي مقدمتهم المهندس المشـهور (سـنمار) لكي يبني له قصر (الخورنق).

بعد تفكير طويل، وجد (سـنمار) رسـماً جميلاً للبناء فبنى القصر على مرتفع قريـب مـن الحيرة حيث تحيـط به البسـاتين والريـاض الخضراء. وكانـت المياه تجـري من الناحية العليا من النهر على شـكل دائرة حول أرض القصر وتعود الى النهر من الناحية المنخفضة.

بعـد أن أتم (سـنمار) بناء القصـر على أجمل صورة، صعد النعمان وحاشـيته ومعهم سـنمار إلى سـطح القصر فشـاهد الملـك مناظر العـراق الخلابة وأعجبه البناء فقال: ما رأيت مثل هذا البناء قط.

أجاب سنمار:

لكني أعلم موضع أجرة لو زالت لسقط القصر كله.

سأل الملك: أيعرفها أحد غيرك؟

أجاب سنمار: لا، لو عرفت أنكم توفونني وتصنعون بي ما أنا أهله، لبنيت بناءً يدور مع الشمس حيثما دارت.

قال الملك: لا يجوز أن يبقى حيّاً من يعرف موضع هذه الأجرة ومن يسـتطيع أن يبني أفضل من هذا القصر!

ثم أمر بقذف سنمار من أعلى الخورنق فانكسرت عنقه فمات.

وأصبح ما صنعه النعمان بسنمار مثلاً بين الناس حتى قيل: (هذا جزاء سنمار). يقال هذا المثل للحسن الذي يكافأ بالاساءة.

يقول الشاعر:

جزاني جزاه الله شرّ جزائه جزاء سنمار وما كان ذا ذنب

* * * * *

طروحات عامة

تأثير التأخّر القرائي على التحصيل الدراسي

أ. م. نجم عبد الله الموسوي •
كلية التربية/ جامعة ميسان

ينابيع

المفهوم المعجمي (اللغوي) لكلمة (قراءة) يدل على جمع الشيء بعضه إلى بعض، ولذلك يقال: قرأت الشيء أي: جمعت ذلك الشيء وضممت بعضه إلى بعض (ابن منظور، ١٩٨٦ مادة قرأ، ج ١ ص ١٢٩).

أما المفهوم الإصطلاحي هي عملية يراد بها إيجاد الصلة بين لغة الكلام والرموز، فتكون عملية إدراك للرموز اللغوية ونطقها صوتياً بصورة صحيحة وواضحة بعيداً عن الخطأ حتى يعطي النص أو الرمز المقروء المعنى المطلوب.

والقراءة عامل رئيس ومهم في نجاح التلاميذ وإكتسابهم المعرفة المتوفرة في بقية المواد الدراسية الأخرى، فلا

يستطيع التلاميذ التقدم في دراستهم ما لم يتقنوا القراءة بصورة جيدة وواضحة وبدونها يكون التلاميذ غير قادرين على النجاح في دراستهم.

وذلك لأن هذه المرحلة أي المرحلة الإبتدائية تكون مرحلة أساسية من مراحل التعليم في حياة الفرد فالقراءة هي أساس كل تعلم وأساس لنجاح العملية التعليمية وبدون القراءة وتعليمها لا يحدث التعلم ولا يكون هناك دافع للدراسة.

وبهذا تكون القراءة حجر الزاوية في أي نظام تعليمي فهي بالنسبة للتلاميذ مفتاح النجاح في المدرسة ووسيلة من وسائل الإستمتاع وأداة من أدوات التكيف مع المجتمع الذي يعيشون فيه (مجاور، سايكولوجية القراءة، ١٩٨٦ص ٩).

فمن الناحية الفكرية يكون الغرض الأساس من القراءة أنْ يفهم التلاميذ ما يقرأونه بسهولة ويسر وما يتبع ذلك من إكتساب المعرفة، ومن الناحية الإجتماعية فأنَّ القراءة تعمل على ربط التلاميذ بما يحيط بهم وبالمجتمع الذي يعيشون فيه وما يحويه من آمال وصفات وقيم أخلاقية تجعل منهم مواطنين صالحين وتعرفهم المشكلات الإجتماعية المعاصرة وتعينهم على عملية التكيف الإجتماعي.

ويهدف تعليم اللغة العربية في المرحلة الإبتدائية إلى تزويد التلاميذ بالمهارات الأساسية اللازمة في القراءة والكتابة

وإكسابه بعض المفردات والتراكيب والأفكار والمعاني للإنتفاع بها في حياته اليومية.

وقد كثرت هذه الأيام شكوى المعلمين والتربويين والمتعلمين وأولياء الأمور من ظاهرة ضعف وتأخر أبنائهم في القراءة، فالتلاميذ لا يتمكنون من تطوير أنفسهم إلا بالتعرف على وسائل التقدم والتطور وما يحيط بهم من إزدهار معرفي ولا سبيل لذلك إلا بالقراءة، وفي مدارسنا الإبتدائية نجد كثيراً من التلاميذ الذين لا يجيدون القراءة والبعض لا يقرأون بصورة جيدة وكما هو مطلوب أو لا يعرفون القراءة، فلا يستطيع التلاميذ نطق الحروف بصورة صحيحة ولا يلفظون الحركات التي كثيراً ما تؤثر في المعنى ويخلطون كثيراً بين رسم هيئة الحروف ولا يميزون بين ما هو حرف أولي أو أخري أو وسطي ولا يفهمون معنى ما يقرأون.

والتلاميذ الذين يعانون من صعوبة وضعف في القراءة يعانون كثيراً عند مراجعتهم لدروسهم اليومية، ويكون تحصيلهم أقل من أقرانهم داخل قاعة الدرس.

فالتأخر القرائي له آثار سيئة تمتد إلى ميادين المعرفة الأخرى فهو يؤدي إلى التأخر الدراسي عامة، وبه يعجز التلميذ عن التعبير عما يجول في نفسه لضعف حصيلته اللغوية ولا يحسن الإستجابة لتوجيه معلميه لما يقع منه من خطأ في فهم هذه التوجيهات ويترك في نفس والديه شعوراً بالنقص وقد يكون لهذا الشعور أثره الكبير في خلق عقد نفسية عند التلميذ نحو القراءة فينفر عنها ويتسرب من المدرسة في سن مبكرة (الملا، التأخر في القراءة الجهرية، ١٩٨٧ ص ١٢٨).

ونتيجة للشعور السابق بما يعانيه أغلب تلاميذ المدرسة الإبتدائية من تأخر في القراءة، يرى الباحث ضرورة ما يأتي:

١- تحديد أسباب ضعف تلاميذ المرحلة الإبتدائية في القراءة، ليتم التركيز عليها والأخذ بها أثناء تعليمهم القراءة.

٢- ضرورة دراسة أسباب الضعف القرائي لدى تلاميذ المرحلة الإبتدائية أو غيرها من المراحل وتحديد مظاهر الضعف وأساليب العلاج الملائمة.

٣- الأهتمام بتدريس مادة القراءة على أسس علمية وتربوية حديثة لتطوير تدريسها وبذل جهود مكثفة لذلك، لأن القدرة على إستعمال الكتب الدراسية في المراحل الدراسية المختلفة تعتمد على تعلم القراءة في المرحلة الإبتدائية.

٤- الإهتمام بمتابعة مستوى التلاميذ والعمل على تحسينه والتأكيد على المستجدات المستحدثات التربوية التي تعمل على تقصي الأسباب والظواهر وتعطيها تفسيراً علمياً دقيقاً.

٥- إسناد تعليم مادة القراءة إلى معلمين ومعلمات متخصصين ومن ذوي الخبرة التربوية في مجال التعليم ومؤهلين علمياً.

٦- إطلاع معلمي مادة القراءة على الإتجاهات التربوية الحديثة، عن طريق إقامة الدورات والندوات التربوية والتطويرية والدرس النموذجي، الذي يلقيه معلمون ومعلمات لهم خبرة كبيرة في مجال تدريس مادة القراءة.

٧ـ إعـادة النظر في عدد التلاميذ في الصف الواحد.

٨ـ إقامـة مكتبـات للتلاميـذ في كل مدرسة وتوجيههم إلى الكتب التي تناسب مسـتواهم، وتخصيـص حصة دراسـية لذلك، وتشجيعهم على القراءة الحرة.

٩ـ متابعـة غيـاب التلاميـذ والعمـل على الحد مـن هذه الظاهرة بتعاون إدارة المدرسة والهيئة التعليمية مع أولياء أمور التلاميذ.

١٠ـ التعـاون المسـتمر بيـن البيـت والمدرسة ■

المصادر:

١ـ ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي المصري: لسـان العرب، دار احياء التراث العربية، بيروت ١٩٩٥م.

٢ـ مجاور، محمد صلاح الدين علي: سـايكلوجية القراءة، دار النهضة، ط٢، القاهرة ١٩٨٦م.

٣ـ الملا، بدرية سعيد: التأخر في القراءة الجهرية تشخيصه وعلاجه، ط١، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، الرياض ١٩٨٧م.

من فضائل أمير المؤمنين علي عليه السلام . .

عن سعيد بن جبير قال:

بلـغ ابن عباس أن قوماً يقعون في علي عليه السلام فقال لابنه علي بن عبد الله: خذ بيدي فاذهب بي إليهم، فأخذ بيده حتى انتهى إليهم فقال: أيكم الساب لله؟

فقالوا: سبحان الله من سب الله فقد أشرك.

فقال: أيكم الساب لرسول الله؟

فقالوا: من سب رسول الله فقد كفر.

فقال: أيكم الساب لعلي؟

فقالوا: قد كان ذلك!،

قال: فاشهدوا لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من سب علياً فقد سبني، ومن سبني فقد سب الله، ومن سب الله كبه الله على وجهه في النار. ثم ولى عنه، فقال لابنه علي: كيف رأيتهم؟ فأنشأ يقول:

نظـروا إليـك بـأعين محـمرة نظر التيوس إلى شفار الجـازر

قال زدني فداك أبوك، قال:

خزر الحواجب ناكسوا أذقانهم نظر الذليل إلى العزيز القاهر

فقال: زدني فداك أبوك، قال: ما أجد مزيداً، قال: لكني أجد..

أحيـاؤهم خزي على أمـواتهم والميـتـون فضـيحة للغـابر

* * * * *

طروحات عامة

العراق..
والغزو الثقافي

بهاء حمزة عباس •
عضو المركز الثقافي في الزبير

ينابيع

يرى المراقبون أن العراق في مستقبله القريب سوف يتعرض لأبشع غزو، يهدف إلى إحلال معتقدات وعادات وثقافات جديدة، مكان أخرى موروثة، حيث تقوم مجاميع سياسية واقتصادية وإعلامية بهذا الهجوم بقصد تحقيق مآرب مختلفة ووضع البلد في إسار تبعيتها، وبشكل قسري يتسم بالهدوء وعدم إثارة الضجيج ومن دون لفت الانتباه عند أكثر الناس.

إن التسلل الثقافي الذي يمهد له عن طريق أجهزة ومؤسسات إعلامية متخصصة، التي تستثمر كل السلبيات المحلية والإقليمية، لخلق مناخ فكري مزيف تسنده الأكاذيب، وأساليب التضخيم والمبالغة وإثارة النعرات الطائفية والإقليمية ضيقة الأفق، واستغلال

المشـاعر الدينية والعاطفيـة والأخلاقية، لإعطـاء آمال براقـة كاذبة للشـعب الفقير الذي عاش معاناة طويلة حتى يتم لها مبتغاها من النفوذ والسـيطرة على العقول وبالتالي على الموارد والثروات.

يتخذ الغزو الثقافي أنواعاً من الأساليب والطـرق لتحقيق أهدافـه، بعضها إعلامي مباشـر تقوم به الأجهـزة الإعلامية التابعة لتلك الجهـات، وبعضها يسـتهدف التأثير على نفـس الفرد بصورة غير مباشـرة عن طريق الصحـف والمجـلات المتخصصة، فما زالت المؤسسـات الغربية والصهيونية تقوم بمحاولات عديدة بالتنسيق مع الجهات المحليـة العميلـة الطامعـة أو المخدوعـة الجاهلـة، لاختـراق مجال البحـث العلمي والأدبـي سـواء فـي الجامعـات أو مراكز الدراسات لاسـتقطاب أكبر عدد ممكن من الباحثيـن المتخصصيـن إلى جانـب الفكر المعادي للأمة وحضارتها ودينها، وتصنيف هؤلاء الباحثين بالتعامل مع كل فئة والتأثير عليها مـن واقع طبقتها وبيئتهـا وانتماءاتها الثقافية.

ومـن هنا كان يجب علـى الأمة أن تقف أمام هذا الزحف الثقافي المعادي للإسلام وثقافتـه، بكل أنـواع التصـدي والتي منها تفعيل دور المؤسسـات التثقيفية والمراكز العلمية والمسـاجد والحسـينيات وتوسيع رقعة الشـعائر الدينيـة وإظهارها بشـكلها العصري بلا تطرف ونشر الثقافة الإسلامية بكل الطرق الممكنة من كتاب ومجلة وجريدة وأقراص وبرامج كومبيوترية ونحوها، لكي يصبح لـدى الفـرد خلفية ثقافية تسـاعده بالصمود أمام التيـارات المتغربة والطارئة على واقع عراقنا وأمتنا.

ونحن لا نريد بدعوى الوقوف أمام الغزو الثقافي أن نحد من التفاعل الثقافي الخلاق وأن نقيد الإبداع والتجديد، أو نسوغ للكسل والدعـة، أو نبرر للانزواء والتقوقع، بل أن نعيش كأمة وشـعب يحترم ماضيه ويتفاعل مـع تراثه تفاعـلاً يضمن الخيـر والصلاح والرفعـة لأفراد هـذا المجتمـع جميعاً بلا حجب لأي سمة مفيدة خيرة جديدة.

وختامـاً يجـب أن نعلم أن هنـاك بوناً شاسعاً بين الغزو الثقافي والتبادل والتفاعل الحضاري، فعلى كل المثقفين أن يعوا حجم هذا الفارق، فالغزو فرض وقسر والتفاعل اختيـار وانتخاب، والغزو يفرض على الأمة لاسـتئصال ثقافتها وقسـرها على جوانب محددة والتفاعـل والتبادل ضرورة لازدهار الأمة نحو الأفضل ورقيها نحو التكامل ■

طروحات عامة

المجتمع النجفي

قراءة في الأصول والخصائص

د. حيدر نزار السيد سلمان ●
الكلية الإسلامية الجامعة

ينابيع

كانت هجرة الشيخ الطوسي إلى النجف الأشرف عام (٤٤٨هـ) إيذاناً ببدء مرحلة تاريخية جديدة لهذه المدينة المقدسة وبداية لتكوين معرفي اجتماعي جديد بذر هذا الشيخ الجليل بذرته الأولى عندما وضع لبنات التأسيس لمدرسة النجف العلمية الدينية وحسب بعض الروايات التاريخية فإن السكن في هذه المدينة التي تشرفت بمرقد إمام المتقين علي بن أبي طالب عليه السلام لم يكن كثيفاً بل تواجد عدد قليل من الساكنين فيها من شيعة أهل البيت عليهم السلام ومن الذين يقدمون الخدمات في طريق الحجاج المارين بالمدينة إلى الديار المقدسة في مكة والمدينة ومن الذين يخدمون الضريح المقدس. لكن النقلة الديمغراقية المعرفية التي حصلت عندما حط الشيخ

الطوسي فيها مرتحلاً من مدينة بغداد فكان عهداً جديداً تمثل ببدء العمل والنشأ في حوزتها العلمية ومدرستها الدينية.

وحسب مؤرخ النجف الأول الشيخ جعفر محبوبة فإن الذين اندفعوا إلى النجف من مختلف الأرجاء للسكن ومجاورة مرقد أمير المؤمنين عليه السلام كان همهم الأول التعلم والدراسة في مدرستها وإذا تفحصنا السكان الأوائل أي السكان الأصليين الذين استقروا فيها لوجدنا إنهم من أعراق شتى ومناطق مختلف في كل بقاع العالم الإسلامي جمعهم قاسم مشترك واحد هو تشيعهم ورغبتهم بالدراسة ولم يبق هؤلاء على صنف واحد من العمل التعليمي بل إن بعضهم وأحفادهم شعروا بحاجة المدينة الماسة إلى الخدمات الأخرى من حرف وأعمال ومهن حياتية ومعاشية وهكذا تشكل فيها النواة الأولى للعوائل والأسر النجفية الذائبة في بوتقة المدينة المشرفة وعندما نقول ذائبين فإننا نقصد تكون مجتمع جديد امتلك خصائص وسمات كونها المكان والزمان والأبعاد الروحية لهذه المدينة المقدسة.

يمكن للباحث أن يلاحظ بسهولة طبيعة هذه السمات والصفات النجفية المتشكلة عبر تاريخ من الاندماج الاجتماعي لأشخاص وأسر وعوائل تنحدر من خلفيات اجتماعية مختلفة لها عاداتها وتقاليدها وحتى قيمها الخاصة لكن هذا التفاعل والانصهار أوجد تركيباً جديداً يمكن أن نطلق عليه المجتمع النجفي ولعل من أبرز الأسس والقواعد المعتمدة في تكون هذا التركيب الجديد يتمثل بالعامل المشترك لكل المكونات ونعني به العامل الروحي والتشييع لآل البيت عليهم السلام، والحقيقة إن المكون الاجتماعي الجديد أزاح عنه ما اختلف عليه الجميع وأبقى ما أراده واتفق عليه الجميع إذ تخلص البعض من عمادات وتقاليد لا تتناسب مع الطبيعة الروحية للمدينة ولا مع الدافع الأساس للجماعة السكانية النازلة فيها فتم التخلص منه طواعية من قبل المكونات المتنوعة وبالمقابل تم الإبقاء على ما يتناسب مع الجانب الروحي للمدينة وعامل التجمع الأساس لها، ولكن العامل الأكثر جدياً وقبولاً الذي اندمجت على أساسه كل المكونات القادمة من مناطق مختلفة كان استخدام اللغة العربية وحفظ تراث شيعة أهل البيت عليهم السلام وفي هذا المجال يمكن أن نلاحظ دلائل على ما نذهب إليه في اللهجة النجفية المميزة بلكنتها ومخارج كلماتها المطابقة للغة العربية الفصحى.

في هذه الظروف التاريخية التكوينية لمجتمع جديد انبثق من بين مكونات متنوعة

تمت إعـادة صياغة لعـادات وتقاليد نجفية مميزة وليس هذا فحسب بل تشكل رأي عام نجفي ينظر للقضايا من رؤية مختلفة ارتبطت هذه الرؤية ارتباطـاً وثيقاً برأي المرجعيات الدينية ومواقفها من مختلف القضايا المثيرة للجـدال والنقـاش بل إن التوريـث التراثي للآباء الأوائل إلى الأبناء قد سـاهم في جعل الشخصية النجفية تتسم بالصلابة والاعتداد بالنفس والثقة وحب العمل والإبداع وشـيوع روحية التفاني والتعـاون في أعمال الصالح العام.

والحقيقـة إن الباحث يقـف أمام تكون تركيبي يميل إلى العمـل الاجتماعي المنظم يحتـرم القواعد العامـة القانونية والعرفية، فالأعـراف النابعـة مـن هـذا التركيـب الاجتماعي وطبيعة مكوناته هي أعراف مدنية لمجتمع مدني حضري ينظر بتقدير بالغ إلى الأعمـال العظيمة وأفعال الخيـر ويبالغ في تقديـر الرجـال المبدعيـن والمتميزين في أعمالهـم الخيريـة أو نتاجاتهم الفكرية ومن هنا ولأن هذا المجتمع قام على أسس معرفية وروحية أصيلة يمكـن أن نطلق عليه (مجتمع المدرسـة) فإننا نلحظ الاهتمـام الكبير من الأسـر والبيوتات النجفية بالكتاب وتأسيس المكتبات وفي هـذا الجانب فإن ما موجود من مكتبات عامة في النجف الأشـرف يفوق ما توافر في مدن عربية وعراقية من مكتبات وهذا يقدم دليلاً على مسـتوى تقدم الحياة المعرفية الحضرية في هذه المدينة وعشـق الكتاب والارتباط بالعلوم والمعارف وكثيراً مـا يقاس تطـور ونمو المجتمعـات بأعداد المكتبـات والإصـدارات الإبداعية والنجف كانت سباقة في مجال إنتاج المعرفة وإدخال المطابع، وليس هذا فحسب بل إن البيوتات النجفية ونتيجة للأعراف والأنماط الحياتية التي تكونت أصبحـت لا تخلو من المكتبات المنزليـة الخاصـة بأفـراد العائلـة الذيـن ينشئون وهم يطلعون على وجود الكتاب في منازلهم فتنمو شخصياتهم على حب القراءة والمطالعة لكل المعارف حتى أصبح الشخص النجفي عارفـاً ومتعلماً فـي أغلب الأحيان يعود الكتاب جزءاً مكملاً لشـخصيته وحياته اليومية ولدينا عشـرات القصص عن اللهفة العارمـة التي حركت شـخصيات نجفية إلى البحث عن الكتب في كل مكان وبأي ثمن.

وهكـذا فقد تكون مـع المجتمع النجفي تقليـد حيـازة الكتـب وتأسـيس المكتبات العامـة والخاصة والقـراءة والمطالعة وهذا التقليد يمكن وصفه بإحدى السمات الخاصة بالبيئـة النجفية المدنية، وعندما نشـير إلى التقاليـد المتكونـة لهذا المجتمـع فإن ذلك يعنـي إعـادة ترتيبهـا لتأكيدهـا باعتبارها امتيـازاً نجفيـاً خالصاً بل يمكـن أن نضيف إلى ذلك الدور النجفـي الهام لما تمتعت به هـذه المدينة من إمكانات وميزات في إعادة صياغة الرأي العام الإسـلامي تجسـد ذلك بما تقدمـه من إنتاج فكـري وثقافي وتدفق معلوماتـي وإعـلام موجه فأمسـت النجف الأشـرف لهذا وغيره من الاعتبـارات قبلة للمبدعيـن وطـلاب المعرفـة للاسـتقرار والسـكن والإنتاج فهي بيئة حاضنة للكفاءات والمبدعين كما أشـرنا سـابقاً فهم يتمتعون بالاحتـرام والتقدير العاليين أي إن المجتمع النجفـي بتكوينه المعرفي الابتدائي رسـخ هذه القيـم وأعاد إنتاجها بفتـرات تاريخية متعاقبة حتى دامت التقاليد عبر سلسـلة من المظاهر والأسـس (الندوات، المؤتمرات، المجالـس الأدبية، المنتديات والمجمعيات) ليطلع الشـكل المتوهج لمدينة علمية تعيش الحضـارة والحياة العصريـة والحقيقة فقد

أشرنا في مقالات سابقة إلى الانسجام مع العصر ومتطلباته سواء من قبل المرجعيات الدينية في النجف والحوزات العلمية التي تمثل الأساس التكويني للمجتمع النجفي أو لهذا المجتمع نفسه الذي يعيش حراكاً وتناغماً عصرياً تماشياً مع رموزه الدينية المعتبرة كان المجتمع النجفي قد أقام له سماته الخاصة ليس في المجالات المذكورة آنفاً بل حتى في الأساليب والأنماط الحياتية فالمطبخ النجفي الذي عرف بخواصه وابتكاراته كجزء من تراثه العميق قدم أكلات جديدة امتزج فيها التنوع الممثل لسكان المدينة وتركيبتها الاجتماعية وعرف الطعام النجفي في كل مكان إضافة إلى ما تنتجه بعض المعامل الخاصة بالمواد والسلع الغذائية وعلى الرغم من الإغراءات التي تقدمها المصانع العالمية ولاسيما في مجال الحلويات فإن النجفية منها ما زالت تمثل الصدارة في العراق ومطلوبة من كل الاتجاهات.

وعندما نشير إلى هذه المظاهر المادية فإن التكون القيمي والأخلاقي المرتبط أصلاً بالفكر المنتج داخل البنية المرجعية الدينية قد كان هو الآخر ميزة أخرى تشكلت منها ثقافة المدينة اليومية ونعني هنا قيم التسامح والاعتدال وحب العمل والإنتاج والحقيقة فإن الفرد النجفي يعتمد على نفسه في توفير قوت أسرته ويندفع اندفاعاً شديداً نحو العمل حتى أتقنه وأبدع فيه فسادت في هذا المجتمع فلسفة حب العمل بمختلف أصنافه سواءً كان تجارة أو صناعة أو عملاً مكتبياً، ودائماً ما يشار إلى النجفي في الأماكن المختلفة التي يسكن فيها مهاجراً أو يتردد عليها مرتبطاً بها عملاً يشار له بالجدية والمثابرة والمطاولة في التجمل ولنا في ذلك شواهد على قدرات نجفية صناعية وتجارية وتفوق فيها أثرت فيها فلسفة العمل السائد كما ذكرنا كانت التركيبة السكانية المتنوعة التي كونت المجتمع النجفي وفي ظل ظروف بيئية صعبة حيث فقدان الأنهار والزراعة قد منحت للعالم الصورة النهائية لهذه المدينة المقدسة من تنوع ثقافي وفكري وحياة روحية وزاد من هذا الشكل الناصع التشابك الأسري العائلي والتداخل بين البيوتات النجفية مصاهرة وعلاقات اجتماعية فكانت اللحمة الاجتماعية مثيرة للانتباه لتكون إن صح التعبير عائلة واحدة تتفرع إلى أسماء وعناوين.

نستطيع القول إن المجتمع النجفي يمتلك خصائص التماسك والتضامن مثلما يمتلك ميزات التحضر والمدنية وخلال التاريخ القريب وجدنا ذلك واضحاً فيما حصل عام ١٩١٥م عندما أدارت هذه المدينة نفسها بنفسها وبنجاح باهر بالإضافة إلى قدرة الاستجابة للتحديات العصرية والميزات القيادية فنحن أمام مجتمع متعدد الإمكانات والمواهب والنتاجات متسامح معتدل صعب الخضوع لقوة تحاول ترويضه والسيطرة عليه محترماً لرجاله ورموزه متحرك لا يحب الجمود والثبات له إرث تاريخي طويل صهر عناصره المتنوعة في بوتقة واحدة ليكون هذا التنوع فاعلاً في تقديمه مؤهلاً ومبهراً أمام الأنظار، وموضعاً للدراسات والبحوث في كل أنحاء العالم ورأيه الذي تمثله المرجعية الدينية العليا ونخبه المتعلمة المثقفة محترم ومقدر ويحظى بالاهتمام، هذا هو المجتمع النجفي المتولد عن تكامل في ثقافات ومنحدرات جمعها رابط الولاء لأهل البيت عليهم السلام والنهل من مدرستهم الأصيلة ■

طروحات عامة

الاستشراق
مفهومه ونشأته

د. عادل عباس النصراوي ●
مركز دراسات الكوفة/ جامعة الكوفة

ينابيع

لم يصح العرب المسلمون إلا على أصوات مواقع نابليون في حملته العسكرية على مصر، وهم قبلها نياماً، فأيقظهم هدير سفنه في مياه البحر المتوسط على ميناء الإسكندرية وغيرها من مدن مصر الساحلية.

جاء نابليون بونابرت مصر حاملاً ثلة من علماء فرنسا ومفكريها وقساوستها ومبشريها لاستشراق هذا العالم الجديد عالم الشرق العربي، مختاراً منها مدخلاً إلى العالم العربي الكبير الذي بهر الغرب بسحره ولياليه في ألف ليلة وليلة، وبعظمة تاريخه وحضارته التي غزت الشرق والغرب بنورها حتى وصلت إلى تخوم الصين شرقاً وبلاد الأندلس (اسبانيا والبرتغال) غرباً.

جـاؤوا إليها ليعرفـوا السـر وراء هذا الفكر الوقاد الذي ما أن لامس شـيئاً شغف بـه وأحياه، حتى أصبح خطـراً حقيقياً على العالم المسـيحي ـ كما ينظـر الغربيون إلى ذلـك ـ إذ يـرون أنه قد هاجمهـم في عقر دارهـم، (ففـي الأندلس، الثغـر الأوربي للمتوسـط، كانت البداية الحقيقية لظاهرة الاستشـراق، وتكويـن فلسـفته بدافـع أيديولوجـي عدائي من خـلال حالة ثقافية متقـدة ذات وجهيـن متعارضيـن، يمثلان في العمـق، تجاذبين حضاريـين نموذجين في منطقة إسـتراتيجية مميزة بين الشـرق وشـمال أفريقيا من جهـة، ومن قلب أوربا من جهة أخرى، فتح المسلمون الأندلسيون خزائن معارفهـم وعلومهم لكل طالب ثقافة وعلم مهمـا كان معتقـده الدينـي وانتماؤه

العرقي، فغصت الجامعات الإسلامية في طليطلة وقرطبة بطلاب العلم الأوربيين)[1].

لذلك لم يجيء نابليون بونابرت إلى مصر حاملاً كل هذه التقنيات العلمية حباً في مصر وسعياً إلى تثقيفها، بل كانت رؤيته نشر الثقافة والفكر الغربيين بين صفوف الشعب العربي وتمييع هويته العربية والإسلامية من خلال قبول الطلبة العرب في جامعاتهم قصد تثقيفهم بالثقافة الغربية وليكونوا دعاة لهم، ونجحوا في ذلك حتى كان هؤلاء الطلبة العرب المتفرنجين أشد قسوة على أهليهم من الغربيين أنفسهم[2].

فضلاً عن ذلك كان قد عاضد هذا المسعى في اتساع الهوة بين الشرق والغرب ما كان تلعبه الكنيسة من دور كبير في ذلك، حتى التقت مصالحها مع مصالح حكام أوربا في شن هجمات على الشرق العربي لأجل تقويض سلطة الدين الإسلامي وتهديم أركانه[3]، غير أن هذا لم يمثل كل الفكر الاستشراقي، إذ كان من المستشرقين من أنصف الفكر الإسلامي العربي وسار في سبيل غير ما سارت عليه الكنيسة أو السلطان في أوربا[4].

مفهوم الاستشراق

تعددت مفاهيم الاستشراق لدى علماء المشرقيات وكتابها من العرب وغيرهم ممن اهتم بها تبعاً للأهداف التي رسموها لهم.

فالاستشراق في اللغة مشتق من كلمة (الشرق)، وهو (خلاف الغرب والشروق كالطلوع، وشرق يشرق شروقاً، ويقال لكل شيء طلع من قبل المشرق)[5]، والسين في كلمة (الاستشراق) زائدة، تفيد طلب دراسة ما في الشرق، وهي من نحو استكتب، قال الزمخشري: (واستكتبه شيئاً فكتبه لي)[6]، أي طلبت منه كتابة شيء فكتبه لي، فكذلك استشرق في الاستشراق.

والاستشراق في الاصطلاح (لفظة مولدة من (استشرق) المأخوذة من مادة (شرق)، استعملها المحدثون ترجمة لكلمة (orientalism) التي تدل على معنى (مستشرقون)، أما المحققون فيستعملونها بدلاً منها (علماء المشرقيات)، بيد أن (مستشرقون) أكثر شيوعاً خاصة في الآونة الأخيرة.

أما المستشرق فهو عالم غربي اهتم بالدراسات الشرقية، عقائدية كانت أو تاريخية أو أدبية أو حضارية، فالاستشراق إذاً دراسة الغربيين عن الشرق من هذه النواحي)[٧].

وعليه فإن المستشرقين، هم جماعة من المؤرخين والكتاب الأجانب الذين خصصوا جزءاً من دراساتهم في تتبع المواضيع التراثية والتاريخية والدينية والاجتماعية والأدبية واللغوية للشرق الإسلامي.

هذا هو المفهوم الواسع للاستشراق، غير أن هناك مفهوماً خاصاً له، يعنى بالدراسات المتعلقة بالشرق الأوسط من حيث لغته وأدبه وتاريخه وعقائده وتشريعاته وحضارته بوجه عام، إذ يطلق على الذين يقومون بتلك الدراسات بـ(المستعربين)[٨].

مصطلح الاستشراق يرجع إلى العصر الوسيط، أي الوقت الذي كان فيه البحر المتوسط ـ كما قيل ـ يقع في وسط العالم، وكان الجهات الأصلية تتحدد نسبة إليه، فلما انتقل مركز ثقل الأحداث السياسية بعد ذلك من البحر المتوسط إلى الشمال، بقي مصطلح الشرق رغم ذلك دالاً على الدول الواقعة شرق البحر المتوسط.

ويبدو أن مصطلح الشرق لم يقتصر على هذه الرقعة جغرافياً فحسب، بل تجاوزها إلى غرب الجزيرة العربية وشمال أفريقيا، وذلك بعد الفتوحات الإسلامية، فعدت كل من مصر والمغرب وشمال أفريقيا وما تعرب من مكان هذه الدول من الشرق، فشملها هذا الاسم باعتبار دينها الإسلام ولغتها العربية[٩].

نشأته

لم تكن نشأة الاستشراق، كما جاء في أدبيات المستشرقين مبنية على أسس أخلاقية، بل كان أصل الاستشراق قد ظهر في أوربا وأمريكا وروسيا وغيرها من دول العالم المتحضر لمواجهة المد الفكري والحضاري الذي شع نوره من الجزيرة العربية الفقيرة المتخلفة، والذي قاده رسول الإنسانية محمد ﷺ رافعاً راية (لا إله إلا الله) حتى بلغ تخوم الصين شرقاً وشواطئ الأطلسي غرباً.

هذه الظاهرة الإسلامية قد أصابت العالم بالذهول والارتجاع، فأقبلت البعوث من كل مكان، رحالة وعلماء وعساكر ورهبان ومؤرخين وباحثين يدرسون ويترجمون وينقبون في محاولة دائبة لمعرفة السر في هذه القوة الخارجية للإسلام[١٠].

فقد كان أول اتصال للأوربيين بالعالم العربي الإسلامي في الأندلس الثغر الأوربي للمتوسط، إذ كان البداية الحقيقية لظاهرة الاستشراق وتكوين فلسفة بدافع أيديولوجي عدائي، فدرسوا ثقافة العرب وحضارتهم[١١]، غير أن هذه البوابة التي ولج منها الأوربيين لدراسة الفكر العربي، جعلت منهم يعادون المسلمين ويهاجمونهم، وبقيت هذه الطريقة متداولة رائجة حتى يومنا هذا، وقد لعبت الكنيسة دوراً رئيسياً في هذا التعصب الأعمى في الحرب على الإسلام والمسلمين، في حين كان

الأولى بها التفكير في الحقيقة الإسلامية والإفادة منها[١٢]، غير أنها حاولت استنفار الحكومات الغربية معها والاصطفاف ضد التيار الإسلامي، فحاول (شيخو) ملك (navara) و(أوردونيو) ملك (lean) التحرش بالثغر الإسلامي الشمالي فتصدى لهما عبد الرحمن الناصر (ت٩٦١م) وبقيت الحدود بينهم محترقة وخطوط تماس للنيران المتقابلة[١٣]، حيث التقت مصالح الكنيسة وأهدافها مع حكام أوربا في الوقوف ضد الإسلام، حتى اتفق الجميع على عمل مشترك في تحذير الجماهير من الهجرة إلى بلاد المسلمين ودراسة العلوم الإسلامية لأنهم يرون في ذلك خطراً على عقيدتهم النصرانية[١٤]، وبدا لها أن الأمر يقتضي عملاً منظماً يحقق ما تصبو إليه في منع الهجرة إلى العالم الإسلامي وتشويه صورة الإسلام والمسلمين لدى الأوربيين في أمرين هما:

الأول: قامت الكنيسة بإيفاد عدد من القساوسة الذين أُعدوا إعداداً خاصاً إلى بعض العواصم الإسلامية في الأندلس والمغرب العربي لدراسة العربية وعلومها، ليقوموا بعد عودتهم إلى بلادهم بتأليف الكتب وإلقاء المحاضرات المشحونة بمختلف المثالب وإثارة الحفائظ ضد المسلمين.

الثاني: إنشاء بعض المدارس العربية في روما وفي غيرها لإعداد أجيال من المتخصصين في العلوم الإسلامية على نحو يؤهلهم لنشر كل ما يسيء إلى الإسلام والمؤمنين به، وكان أولئك القساوسة هم الطليعة الأولى للاستشراق، وكانت آراؤهم في الإسلام ونبيه ﷺ ومعجزته والمسلمين وحضارتهم، هي بداية الفكر الاستشراقي وهذه البداية ما كانت تعرف الموضوعية أو الأمانة العلمية لأنها خضعت لتوجيه أراد منها أن تكون حرباً فكرية ضد الإسلام[١٥].

وبهذا نجد أن بدايات الاستشراق قد امتزجت مع منظومات التنصير والتبشير، لا عن الدافع الديني المتطرف الذي قامت فكرته على محاربة الفكر الآخر. لذا كانت آراء الجيل الأول قد اتسمت بالجهل وخلط الحقائق، فما كتبه هؤلاء عن الرسول محمد ﷺ أنه ساحر، هدم الكنيسة في أفريقيا وفي الشرق عن طريق السحر والخديعة، وضمن نجاحاته أنه أباح الاتصالات الجنسية وأن المسلمين يعبدون ثلاثين إلهاً أو القرآن يمزج على غير نظام بين تعاليم العهدين أو بين التوراة والإنجيل[١٦].

ثم إن قيام الحروب الصليبية أدى إلى ازدياد التعصب الديني، وانعكس ذلك على الاستشراق، فقد بدأ الجاحدون للإسلام من الأوربيين يتعلمون اللغة العربية لا حباً فيها، ولكن ليتخذوها وسيلة لفهم القرآن الكريم وسلاحاً في مناقشته، لأن الغربيين أدركوا أن الشرق يتفوق عليهم فكرياً وحضارياً واقتصادياً، فأرادوا أن يقوضوا كل ذلك، فشرعوا في إنشاء المدارس والمعاهد والمراكز لتعليم الحضارة الإسلامية التي كانت من أقوى البواعث لنهضة المسلمين العلمية والفكرية[١٧].

مع بدايات القرن السادس عشر الميلادي تطور الاستشراق بفعل ما حدث من تطور الطباعة إذ بدأت الطباعة العربية فيه بنشاطها، فتحركت الدوائر العلمية وأخذت تصور كتاباً بعد آخر، ومنذ ذلك الحين خطا الاستشراق خطوة جديدة نحو الانطلاق، فانتشرت المدارس

لتعليم العربيــة في أوربا كلها، وأقيمت المطابع لإصدار نفائس العرب، وأخذ العلماء والرهبان يتسابقون في دراستها ونشرها والتعليق عليها[١٨].

وفي هــذه المرحلــة المعقــدة من الاستشــراق عرف التحالف الظالم بين اليهود والنصارى للقضاء على الإسلام والمســلمين، ففي العام (١٥٠٥م) كتب أحد اليهود مشــروعاً لذلــك التحالف وقدمه إلى البابا وضمنه النقاط الآتية:

١ـ احتلال العالم الإسلامي.
٢ـ انتزاع الأرض المقدسة.
٣ـ احتلال اليهود لفلسطين.

وبهذا دخل اليهود ميدان الاستشراق وقدموا إلى الدول الأوربية المســيحية كل ما عرفوه عن المسلمين من مواطن الضعف والقوة، ومن ثم كانوا عوناً لهم على احتلال البلدان الإسلامية لتحقيق الحلم الصهيوني باغتصاب فلسطين[١٩].

لقــد وضــع اليهود خطة مدروســة ودراســة دقيقــة للولــوج فــي حركــة الاستشــراق مــن أجل القيــام بتزييف التاريخ الإســلامي والتشكيك في قيمه العليا لأفكارهم الصهيونية، فاســتطاع اليهــود أن يكيفــوا أنفســهم ليصبحوا عنصراً من عناصر الحركة الاستشراقية الأوربيــة، حيــث دخلوا هــذا الميدان بصفتهم كمواطنين أوربيين لا بصفتهم الدينية اليهودية[٢٠].

شــهد الاستشــراق فــي القرنيــن السادس عشر والســابع عشر ازدهاراً كبيراً في النواحي العلمية والدراســات المتخصصــة، وعندمــا أقبــل القــرن الثامن عشــر كان الاستشراق قد ثبتت أقدامــه ووطــدت مراكــزه واســتقل

بكيانه ورسم اتجاهه وحدد معالمه، وعمد المستشرقون إلى تغيير أساليبهم وأرادوا أن يظهروا بمظهر جديد، هو ما زعموا من تحرير الاستشراق من الأغراض التبشيرية والاتجاه به وجهة البحث العلمي فأنشأت كليات لتدريس اللغات الشرقية في عواصم أوربا مثل لندن وباريس وليدن وبرلين وبطرسبورج وغيرها، وظهرت فيها أقسام خاصة لدراسة اللغة العربية وبعض اللغات للدول الإسلامية كالفارسية والتركية والأوردية، وكان الغرض منها لتزويد السلطات الاستعمارية بخبرات في الشؤون الإسلامية ولتسهيل ما يصبو إليه[٢١].

ثم ختم القرن الثامن عشر بغزو نابليون بونابرت مصر، وقد صب معه الكثير من العلماء ومعظمهم من المستشرقين، فاتصل فيهم الشرق الأدنى بأوربا في الثقافة والسياسة والاقتصاد، اتصالاً وثيقاً لم يعرف من قبل.

وتعد المرحلة التي بدأت في منتصف القرن الثامن عشر حتى نهاية الحرب العالمية الثانية من أخطر مراحل الفكر الاستشراقي، فقد اتسمت تلك المرحلة ببعض السمات منها: أنه قد تبلور مصطلح الاستشراق واستخدم لأول مرة عام (١٧٦٩م) في قاموس (أكسفورد) للغة الإنكليزية، وأصبح يطلق على كل فروع العلم التي تهتم بدراسة الشعوب الشرقية من جميع نواحيها بما لها من ديانات ولغة وعلوم وآداب وفنون...إلخ، وأصبح الاستشراق كذلك الطريق العلمي لاحتلال البلدان الإسلامية، وأصبح المستشرقون بوجه عام موظفين في دوائر الاستخبارات في وزارتي الخارجية والمستعمرات، وقام بعضهم بأدوار التجسس تحت شعار مزيف من الإسلام أو البحث الأكاديمي[٢٢].

تبلور عن ذلك ظهور وسائل التنظيم والتنسيق المتمثلة بإنشاء الجمعيات الاستشراقية في مختلف البلدان، وكانت تدعو إلى عقد مؤتمرات للاستشراق، وكان الفرنسيون أسبق من غيرهم في هذا المجال، ففي عام (١٧٨٧م) أنشأت جمعية للمستشرقين، وألحقوها بأخرى عام (١٨٢٠م)، وفي لندن تألفت جمعية لتشجيع الدراسات الشرقية في عام (١٨٢٣م)، وفي العام (١٨٤٢م) أنشأ الأمريكيون جمعية باسم (الجمعية الشرقية الأمريكية).

أدى تأسيس هذه الجمعيات وغيرها إلى توحيد القوى المتفرقة للدراسات الشرقية وازدياد نشاطها واشتداد التنافس بينها، لأن الأعمال الكبرى لا تظهر الفائدة منها إلا باجتماعها.

في هذه المرحلة دخل ميدان الاستشراق كل دول أوربا، لا انتصاراً للحق وإنما للفوز بأكبر قدر من غنائم الشرق، وظهر كذلك الاستشراق الأمريكي، وهو وإن كان امتداداً للاستشراق الإنكليزي، إذ تطلع نحو السيطرة الاستعمارية ومنافسة أوربا في هذا المجال. وكذلك ظهر ما يمكن أن يطلق عليه بالاستشراق الشرقي، أي الاستشراق الذي قامت به دول أوربية شرقية لا تدين بالإسلام من نحو روسيا، إذ قام الاستشراق الروسي بدور كبير في مساعدة الصهيونية للتغلغل في فلسطين وإنشاء الوطن اليهودي في قلب الوطن العربي[٢٣].

وهكذا سارت أجيال المستشرقين بعد الحرب العالمية الثانية على نفس الدرب الذي سلكته الأجيال الماضية في تمويه الحقائق وتضليلها والبعد عن المواجهة الصريحة.

إن للاستشراق قديمه وحديثه بنية واحدة لا تختلف، وهي مبنية على السيطرة والهيمنة السياسية والاقتصادية والثقافية للغرب على المشرق، فالاستشراق ليس نتيجة للإمبريالية العالمية، وإنما هو جزء لا يتجزأ منها.

إن الاستشراق لم يزل يعمل على الرغم من أن بعضهم قد أدلى بتصريحات أعلن فيها أنه قد انتهى زمن الاستشراق، وتقرر أن يطلق على أي مؤتمر للاستشراق بـ(مؤتمر العلوم الإنسانية)، لكن علينا الحذر والوقوف بوعي اتجاهه ■

(١) الإسلام والغرب، سمير سليمان، ٢/١١٥-١١٦، مؤسسة التوحيد للنشر الثقافي، ط٢، ١٩٩٥م.
(٢) أساليب الغزو الفكري، جريشة الزبيق، ص٢٣-٢٤، دار الاعتصام، ط١، ١٩٧٧م.
(٣) ظ: إفتراءات المستشرقين على الإسلام والرد عليها، يحيى مراد، ص٥٠، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م.
(٤) الفكر الإسلامي يرد على المستشرقين، سهير فضل الله، ص١٧-١٨، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٦م.
(٥) العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ٥/٣٨، تحقيق: مهدي المخزوي وإبراهيم السامرائي، مؤسسة دار الهجرة، ط٢، ١٩٨٨م.
(٦) أساس البلاغة، الزمخشري، ص٥٣٥، كتب، دار صادر.
(٧) آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره ـ دراسة ونقد ـ، عمر إبراهيم، ص٢٣، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض.
(٨) الاستشراق والتاريخ الإسلامي ـ دراسة مقارنة بين وجهة النظر الإسلامية ووجهة النظر الأوربية ـ، فاروق عمر فوزي، ص٣٠، لبنان، ط١، ١٩٩٨م.
(٩) المستشرقون والدراسات القرآنية، د. محمد حسين الصغير، ص١١-١٢، مكتبة الإعلام الإسلامي، قم، ط٢، ١٩٩٢م.
(١٠) إفتراءات المستشرقين، يحيى مراد، ص٥٠.
(١١) الإسلام والغرب، سمير سليمان، ٢/١١٥-١١٦.
(١٢) ظ: إفتراءات المستشرقين، يحيى مراد، ص٥٠.
(١٣) الإسلام والغرب، سمير سليمان، ٢/١٢٢.
(١٤) الفكر الاستشراقي تأريخه وتقويمه، محمد الدسوقي، ص٣٣، مؤسسة التوحيد للنشر الثقافي، ط١، ١٩٩٦م.
(١٥) نفس المصدر: ص٣٣-٣٤.
(١٦) ظ: نفس المصدر: ص٣٤.
(١٧) ظ: افتراءات المستشرقين، يحيى مراد، ص٥٠.
(١٨) ظ: نفس المصدر: ٥٥-٥٦.
(١٩) ظ: الفكر الاستشراقي، محمد الدسوقي، ص٤٩.
(٢٠) أبحاث ودراسات، منذر جواد مرزة، ص١٢٧.
(٢١) ظ: أساليب الغزو الفكري، جريشة الزبيق، ص٢١.
(٢٢) ظ: الفكر الاستشراقي، محمد الدسوقي، ص٥٠-٥١.
(٢٣) ظ: نفس المصدر: ص٥٩.
(٢٤) ظ: الإسقاط في مناهج المستشرقين والمبشرين، شوقي أبو خليل، ص٦، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٩٨م.

الخوف من عذاب الآخرة

قال المفسرون:

جلس رسول اللّه ﷺ يوماً، فذكر الناس، ووصف القيامة، فرق الناس وبكوا، واجتمع عشرة من الصحابة في بيت عثمان بن مظعون الجمحي، واتفقوا على أن يصوموا النهار، ويقوموا الليل، ولا يناموا على الفرش، ولا يأكلوا اللحم، ولا الودك، ولا يقربوا النساء والطيب، ويلبسوا المسوح، ويرفضوا الدنيا، ويسيحوا في الأرض، وهمَّ بعضهم أن يجُبَّ مذاكيره.

فبلغ ذلك رسول اللّه ﷺ فأتى دار عثمان، فلم يصادفه، فقال لامرأته أم حكيم بنت أبي أمية، واسمها حولاء، وكانت عطارة:

أحقّ ما بلغني عن زوجك وأصحابه؟ فكرهت أن تكذب رسول اللّه ﷺ، وكرهت أن تبدي على زوجها، فقالت: يا رسول اللّه إن كان أخبرك عثمان، فقد صدقك. فانصرف رسول اللّه ﷺ.

فلما دخل عثمان، أخبرته بذلك، فأتى رسول اللّه ﷺ هو وأصحابه، فقال لهم رسول اللّه ﷺ: ألم أنبئكم أنكم اتفقتم على كذا وكذا؟ قالوا: بلى يا رسول اللّه، وما أردنا إلا الخير.

فقال رسول اللّه ﷺ: إني لم أؤمر بذلك. ثم قال: إن لأنفسكم عليكم حقاً، فصوموا وأفطروا، وقوموا وناموا، فإني أقوم وأنام، وأصوم وأفطر، وآكل اللحم والدسم، وآتي النساء، ومن رغب عن سنتي فليس مني.

ثم جمع الناس وخطبهم، وقال ﷺ: ما بال أقوام حرموا النساء، والطعام، والطيب، والنوم، وشهوات الدنيا؟! أما إني لست آمركم أن تكونوا قسيسين ورهباناً، فإنه ليس في ديني ترك اللحم، ولا النساء، ولا اتخاذ الصوامع، وإن سياحة أمتي الصوم، ورهبانيتهم الجهاد، اعبدوا اللّه، ولا تشركوا به شيئاً، وحجوا واعتمروا، وأقيموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وصوموا رمضان، واستقيموا يستقم لكم، فإنما هلك من كان قبلكم بالتشديد: شددوا على أنفسهم، فشدد اللّه عليهم، فأولئك بقاياهم في الديارات والصوامع.

قراءات

قراءة نقدية

في كتاب حسن العلوي

(عمر والتشيع)

سجى محمد جواد •

ينابيع

نستعرض هنا دراسة لهذا الكتاب من وجهة نظر محايدة ليس لها في عمر أو التشيع سوى الحقيقة..

وهي قراءة لا تقوم على أسانيد وأحاديث وأصول أو تدخل في اتجاهات الفرق والمذاهب لتأتي برد قائم على أسس عقائدية.

وإنما تم ذكر بعض الهوامش ليطلع القارئ الكريم على أسس هذه القراءة النقدية.

فهي تدوين لمضمون (عمر والتشيع) ولكن بقلم آخر ورؤية من جانب آخر لما جاء فيه التماسا للاختصار والأخذ بالمفيد في الرد.

(عمر والتشيع) أصدره الكاتب في زمن كان يشهد العراق وهو مركز الشيعة في العالم.. صراعات واضطرابات هي الآثار الجانبية لحرب أذاقته الموت والدمار وهو يعتقد أن التنسيق بين الوقائع التاريخية سيكون له دور في تجفيف انهار الدم وإطفاء غلواء الجفاء والتباعد.

ولكن الوقائع التاريخية براء من هذا الإرهاب الذي سقط العالم بين رحاه، إنما هي النفس البشرية التي لم تحصن بالمعرفة ولم تبحث عن الحقيقة بل استكانت إلى الجور والزيف.. وأيا كان فان

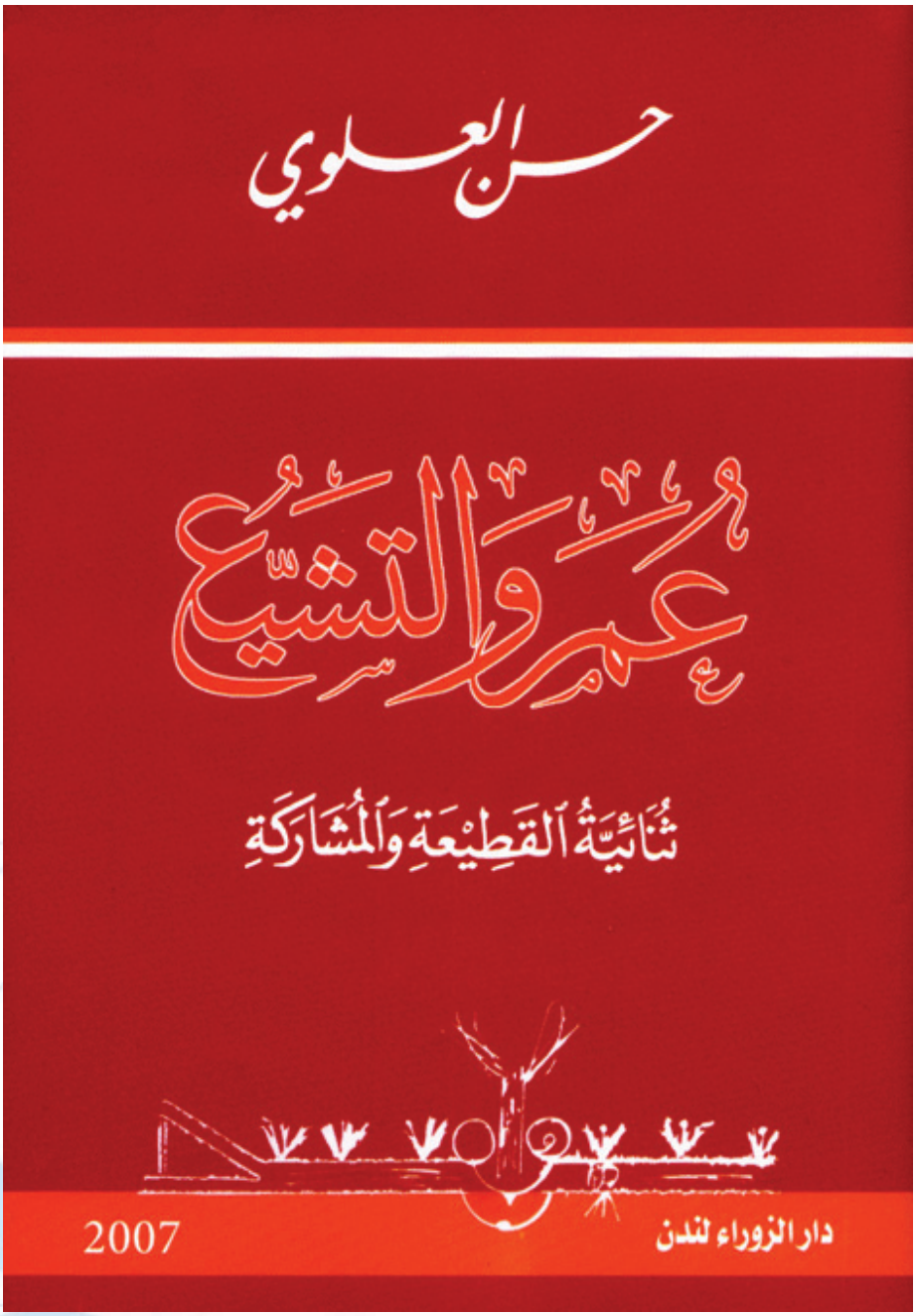
حسن العلوي
عمر والتشيع
ثنائية القطيعة والمشاركة
2007
دار الزوراء لندن

الفكر الديني المتحرر الذي لا تغله قيود جهة أو طائفة أو فئة وهو قمة الوعي الرسالي واللسان الناطق باسم الإسلام.. وبه تعتق الأمة من سياسة التكفير وفتاوى التسقيط والتشويه.

غالى حسن العلوي في الخليفة الثاني.. ويستدل أدلته من شخصية عمر نفسها ومكوناتها بادئا من الطفولة والفتوة إلى أن يدخل الإسلام حياته. ويخرج بين هذه المكونات ما يطرأ عليها من أحداث وبهذا يكوّن البنية الأولى التي يجعلها دليلا لتوليه الخلافة.. وانه الشخص المناسب لها.

وباستناده إلى تلك الصفات والمميزات التي تحملها شخصية عمر يعطي الشرعية له في إقامة السقيفة التي أخذت بالدين نحو النماء والكمال كما يرى الكاتب.

وبعدها يمشي العلوي في سيرة عمر خلال خلافته وما اعترضتها من عوارض آخذا منها أدلة يستنبطها لكي يستمر في إعطائه صفة الشرعية على حكمه ومن ولّاهم من بعده، دون أن يتطرق إلى الأحداث التي جارت ذلك..

فالكاتب يريد أن يبتعد عن مجاراة أحداث لا يرغب في إثارتها خوفا من الخروج عن مسيرة موضوعه.

وكذلك نحن في قراءتنا سنساير حسن العلوي ولن نتطرق إلى ما تركه العلوي من أحداث جارت زمن عمر وقبله وبعده.. مقتصرين على البحث في نطاق ما ذكره دون الخروج إلى ما لم يخض فيه.

يبدأ الكاتب بتصوير شخصية عمر في البادية وقبل الإسلام، واصفا إياه بأنبل صفات العرب..

فيجعل منه شخصية مركبة أخذت محاسن العصر الجاهلي وانتقت مفاهيم العصر الإسلامي بدقة فأضحت شخصية جذابة للصفات والمؤهلات فضلا عن المظهر الهيكلي الذي ساعده ـ برأي المؤلف ـ على أن يفرض سيكولوجيته على قومه ويثير الدهشة والزهو في النفوس فهو الصارم المتقد النبيل والغيور والمفعم بالإحساس...

ثم ينتقل الكاتب إلى السقيفة دون أن يتطرق إلى أين تنزوي شخصية عمر في الحروب والحملات وأين تتجلى صفاته في العقبات التي واجهها الإسلام حين نشوئه.

فهو يغيب عن ذلك سواء في التاريخ أو في اسطر كتابه (قفل الأمة)..

فهذا البطل الصارم يفر من الزحف يوم حنين[1]..!!!

ولنتابع.. فالسقيفة في نظر العلوي هي فتح المسلمين وعمر هو العبقري

الـذي اخترع الابتـكار الأعظم الذي صان الإسـلام من التقهقـر في أجـواء القبلية وأسـنة الكفـر.. فابتكر السـقيفة قبل أن يُجهَز على الدين فيضيع سعي النبي هباءً..

فالسـقيفة مجهـود فكري جبـار نال عمر شـرف ابتكاره.. ولا ندري كيف نرد له صنيعه لأنه تدارك كبوة الإسلام وحمى دين النبـي الذي رحـل دون أن يجعل من بعده قائدا يسـير بهذا المد المتسع إلى بر الأمان ويرسـي أسـس هذا الدين الفتي. (هذا ما يراه الكاتب).

وتناسـى اعترافات عمر بقصوره عن اقل المسـتويات العلميـة، فهذا احمد بن حنبل يروي في مسـنده (عـن ابن جدعان قال: سمع عمر رجلاً يقول: اللهم اجعلني مـن الأقلين فقـال عمر: يا عبـد الله وما الأقلون؟، قـال: سـمعت الله يقول: وما آمـن معـه إلاّ قليـل، وقليـل مـن عبادي الشـكور وذكر آيات آخر، فقال عمر: كل أحد أفقه من عمر)[٢].

وما ذكر السيوطي عن علم عمر.

- أخـرج إبن المنذر، عن أبي وائل: أن عمر سـئل عن قوله: وأَبّـا، ما الأب؟ ثم قال:

- وأخرج عبـد بن حميد وابن الأنباري في المصاحف، عن أنـس قال: قرأ عمر: وفاكهة وأبّا فقال: هذه الفاكهة قد عرفناها فما الأب ثم قال: نهينا عن التكلف[٣]. وفي رواية.. (ما كُلِّفنا هذا أو ما أُمرنا بهذا)

ومثل ذلـك جهله في معنـى الكلالة[٤] وفي أحكام الطلاق[٥] والغسل والوضوء[٦] إلى آخره من تلك السلسـلة غيـر العلمية والتي غـض الطرف عنها حسـن العلوي بل تجاهلها، ولا يسـع المقام هنا سـوى للإشارة إليها.

ونكتفـي بالرد علـى الناحيـة العلمية والثقافية لعمر بما تقدم..

هـذا الشـخص بتلـك الـلاّ مؤهلات يقود الأمة أفضل من قيادة نبيها (بسقيفته العبقرية)!!

يـا لعمـر.. انـه المفكر الـذي يعرف بالديـن أكثـر من رسـوله ﷺ، انـه ينقذ الإسـلام، لان نبيه ﷺ لا يدري كيف ينقذ الأمة، ولم يفكـر بإنقاذها قبل أن تداهمه المنية.. ولا يدري مؤسـس هذا المشروع الذي امتـد إلى أطراف الأرض أن ينتخب من هو أجدر في الحفاظ عليه..

فلا يكون سوى إحدى نتيجتين:

الأولـى: أن عمر أكثـر خوفا وحرصا على الإسـلام من نبي الإسلام ﷺ، أو أن يكون نبي الإسـلام ﷺ قد نسي أو فاته ما لم يفت عمر أو ينساه بسبب عبقرية الثاني وفطنته..

كاتبنا لا يمر بأحداث ما قبل السـقيفة لأنه يدري أن مروره عليها سوف يستوقفه ويسـائله عن عبقرية عمـر وقراراته ومن أين اسـتمد الشرعية ليلقيها على أفعاله !! أمن كتاب أو من قول رسول؟!

لذلك ينأى الكاتب بعيداً عن ذلك فاراً من اسـتعراضه.. بحجة عدم الخوض في بطون العقائد.

فغدير خم.. أول كارت أحمر يرفع في وجهـه.. لينبهه أن إلقـاءه وطرحه زل عن الاتزان والاسـتقامة. ومـن قبله اعتراض عمر على النبي ﷺ في صلح الحديبية.

والسـقيفة في نظره مجردة عن النوايا التي أنجبتها.

وليت شـعري لو كان أي فرد قد أمال دفة أمته بحجة تفكيـره وقناعته لما بقيت امة على وجه الأرض تحظى بالحياة !!

فلا ادري بأي دليل يتسلح الكاتب حينما يرى أن عمر عبقري وفذ لأنه ابتكر السقيفة التي ـ بنظره ـ أنقذت الدين من الهلاك.. ويسلبها من معلم البشرية ومنقذ الإنسانية من الضياع فلا يجد عنده أدنى فكره عن إدارة هذا المشروع العظيم وكيف يحفظ في غيابه!!

نعم فصاحب الرسالة' الذي ملأ الخافقين ذهولاً بإدارته وحارت بشخصيته أقلام المفكرين والأدباء والأعلام.. قائد الفتوحات والحملات رجل الدولة الإسلامية يترك الأمة من بعده إلى لا شيء..

أو يتركها لاجتهادات عمر، وغيره وقراراته، فربما هم أدرى منه!!

وبذلك فالسقيفة التي أدارتها أياد القبلية وأولدتها الدسائس من أجل الوصول للسلطة، تصبح فتحا للمسلمين!!

ولنا هنا على عبقرية السقيفة تعليق..

أن فكرة الاستيلاء على الخلافة لم تكن وليدة السقيفة والتي يصورها الكاتب بمجلس طوارئ لإنقاذ الأمة من الفراغ الذي يتركه فقدان النبي صلى الله عليه وآله وضرورة الإسراع بتسنم شخص دفة القيادة كي لا يسقط لواء الإسلام!!

إنما السقيفة تلك جاءت نتيجة لعمل منظم ومنسق كان يقوم به عمر ومن تبعه على مخططاته ممن كان لهم الدور الفاعل في إنجاح مشروع السقيفة..

ويبدأ هذا التخطيط من محاولة خلافة النبي صلى الله عليه وآله في إمامة الصلاة أيام مرضه صلى الله عليه وآله[٧].

ومثلها التخلف عن جيش أسامة وعصيان أوامر النبي صلى الله عليه وآله جهراً[٨]، وكذلك منع النبي صلى الله عليه وآله من كتابة وصيته[٩]، هذا كله قبل رحيل النبي صلى الله عليه وآله، وسيأتي ما كان بعد ذلك..

السقيفة التي يصورها الكاتب بالفتح وبعملية الإنقاذ للدين الحنيف، وقد فرضتها آنذاك الظروف في نظره، فالفراغ في السلطة قد هدد بتصدع الإسلام وكان لابد من وجود صيغة تطبيقية لإنقاذ الأمة.. فكان هذا الإرث الخفي وهو السقيفة.

ولكي يضفي الكاتب عليها غطاء الشرعية فقد جهز لها ذلك من خلال تحليل الوقائع تحليلاً خاصا:

أولها: إسقاط الرواية في عمر بقوله في بيت الرسول عندما حضرته الوفاة: (إن الرسول يهجر).. فحسن العلوي لا يرى أي داع لمواجهة هذه الرواية لأنها عارية عن الصحة ومسلوبة الثقة..

على الرغم من أن رواة أبناء العامة وأئمتهم كالبخاري ومسلم[١٠] وابن حنبل[١١] وابن تيمية[١٢] والنسائي[١٣] والهيثمي[١٤]

وابن سعد[١٥] وغيرهم يؤكدون حضور الصحابة في بيت النبيﷺ حين احتضاره وتذكرها مصادرهم بصورة مختلفة عما عند الشيعة..

ويجدر هنا الإشارة إلى أن أبا بكر عندما حضرته الوفاة قام عمر قائلا: اسمعوا لخليفة رسول الله، قد رضيني لكم[١٦]..

يقول عمر عن رسول اللهﷺ انه يهجر ولا يسمح لأحد بأن يأتي بالدواة والكتف، ويمنع النبيﷺ من الوصية ولكنه وبنفس العزيمة يحث الناس على السماع لوصية أبي بكر بتعيينه خليفة له..

أترك للقارئ التعليق على هذا الموقف، ولكي يتضح جليا أين وضع ضميره كاتبنا العلوي عندما كتب كتابه.

ويحاول العلوي عبثا أن يسقط إحدى التهم لتضيء عتمة السقيفة قليلا من خلال تزيينها وإظهارها بصورة تخالف ما نقله التاريخ وقد تقدمت مصادره..

ثانيها: الفراغ أو الفجوة التي أحدثها رحيل الرسولﷺ وتأزم الوضع آنذاك والاضطراب الذي بدأ يزحف إلى مفاصل الدولة الإسلامية الفتية فكان لابد من إجراء فوري وطارئ يعيد لها اتزانها ـ وكأن الرسولﷺ رحل على حين غرة.. سقط شهيدا أو لقي حتفه فجأة.. أو غاب في ظلمات الغيب ـ ..

وكأن الرسولﷺ قائد الأمة ومؤسس لدعائم الدين اغفل من بعده من يحيل إليه أمر هذه الأمة..

أهو الرسول الذي سها عن ذلك فأحدث سهوه ثغرة كادت أن تطيح بالدعوة الإسلامية؟!..

أم هي السماء لا تدري أي تداع سوف يضرب هذه الأمة بعد رحيل رسولها فلم تجعل من بعده أمينا على الرسالة وحافظا لنهجها؟؟..

أم أن الدين كان يحتاج لاجتهادات عمر ويفتقر إليها فترك آخر أمره إليه فنظر به وأهداه السقيفة..

لا أدري..

إلى مَ يميل الكاتب.. حين يسترسل في الإطراء على عمر لأنه أدار السقيفة وأحكم عقدها..

ثم يسترسل الكاتب في أطروحته فيقول: إن الإمام عليعليه السلام.. اتخذ أسلوب المعارضة المسالمة ـ إذا صح التعبير ـ عن رأيه.. فهو طرح للمجتمع نظرية في التعارض والاختلاف لا تقوم على أساس السلاح أو الخطابات وإنما على منهج علمي ومسالم.. وهو الانعزال والتنحي.. ثم بعدها يرى الكاتب أن الإمام وهو من بناة دعائم الدين الأوائل ليس له أن يكون مساهما في تقويضها فشرع في الاتصال بأصحاب السلطة... والمشاركة في العملية الإدارية..

ونحن على علم أن الخلافة أخذت قسرا من الإمام عليعليه السلام، وان سكوت الإمام عن حقه كان وراءه أسباب، أولها وآخرها يتصل بالدين نفسه[١٧].

فالإسلام ولد في بيئة حكمتها المواريث القبلية القاسية والتقاليد المتعصبة التي جاء الدين فهدمها وعمل على إرساء مبادئه وتأسيس أركانه كما أرادها الله تعالى..

وبهذه البداية الصعبة التي عاشها الدين ورجاله في صراع مع ارث بدائي في النفوس بدأ الدين حياته في رمضاء الجزيرة.. وعاش فتوته في عصر الرسولﷺ

لكن بعض النفوس التي دخلت الدين خوفا أو طمعا مازالت تواقة إلى جذورها والعودة إلى ربوع طبيعتها القاصرة.. وبرحيل رسول اللهﷺ وعلى الرغم من عدم الأخذ بوصيته بقي الدين في مأزق..

فتفشت النزعة القبلية من جديد وبدأت تنتشر بذورها وانطلقت المطامع مدفوعة بشتى الغرائز بلا هوادة تكتسح ما كان يحدها.. ولأن هذا الدين هو دستور السماء المهدد بالقضاء عليه وبذلك تغرق الإنسانية بالتيه والضياع.. فكان عليعليه السلام هو باب مدينة علم الرسولﷺ بمثابة طوق النجاة الذي أوصل الدين إلى شاطئ السلامة..

وحركة الإمام هذه يقابلها حسن العلوي وغيره بتجاهل صارخ ويمر بها مرورا هادئا دون أن يدر مكامن الحس اللغوي فيه فيكتب بعض السطور في منح هذا الدور العظيم حقه.. فلا تشحن عاطفته ولا يترك لمداده أن يغدق في الوصف والتبيان، فلا يقول أن أمير المؤمنين عليﷺ كان بحق (قفل الأمة) كما وصف عمر.. فالعلوي حسن غير مكترث بذلك الدور القيادي الذي انفق الإمام فيه نفسه من اجل نجاة الإنسانية وتطهيرها من ملوثات المجتمع ودوافع الطامعين..

لكن الحقيقة رغم ما يُلقى عليها من أستار وعتمة تبقى أنوارها على مر الدهر والعقود تشرق ممزقة الظلام الزائف.

وبعد هذا الفتح (السقيفة) ينغمر الكاتب في مديح ثرٍ لشخص عمر في خلافته وزهده وحسن إدارته، فيشهد عصره أيما ازدهار وتمدن فالإدارة السياسية والنظم العسكرية والأمنية تشهد أعلى مستوياتها في النجاح والتقدم وكذلك العدل في الرعية ورغد العيش والفتوحات والعمل والتجارة.. الخ..

فهذه هي الحياة الإسلامية الحضارية وليدة التخطيط الضخم الذي أهدى الإسلام أولى جواهره وهي السقيفة، وطبعا في هذا الوصف (المنصف) لا نقرأ عن الفوضى والاستياء الذي عم الرعية كما تذكر كتب المؤرخين أن في زمن عمر شكت الرعية عدم العدالة في العطاء وسوء التوزيع الذي عرفته بلاد المسلمين في عصره على مصطلحات العنصرية والطبقية وأضحت مهددة بالارتداد إلى الجاهلية، ولعدم التساوي في العطاء أخذت ملامح الدين النبوي الداعية إلى المساواة ـ إلا في التقوى ـ إلى الاندراس.

وفي خضم هذه الرفاهية الأخاذة يذكر الكاتب دون أن يدري أن ما رواه يوقظ في النفس شكاً واستغرابا مما وصفه

من دولة عادلة.. فيقول: في زيارة له إلى الشام يدخل عمر على واليه يزيد بن أبي سفيان فيرى القماش متدلياً من الحيطان فيستغرب أن تلبس الحيطان ثيابا زاهية من مصنوعات حلب ودمشق، فاتجه إليها وشرع يقطع أوصالها قائلا: ويحك! أتلبس الحيطان ما لو ألبسته قوماً من الناس لسترهم من الحر والبرد؟!.

هذا هو رد الخليفة العادل المنصف.. وهذا فعله لمواجهة إسراف ولاته على الأمصار.. عمر الذي يصفه الكاتب بأنه عادل لا تأخذه لومة لائم في أمور المسلمين يشرع بتقطيع الحرير فحسب.. دون أن يعزل واليه يزيد وينحيه من مقامه.. ولا أعلم سبباً لأحجام عمر العادل! الفاروق عن مبادرة توقف هذا الإسراف في أموال المسلمين من قبل واليه، ولعل رد عمر هو الأصدق من وصف حسن العلوي لواقع عصره.. إذا تأملناه جيدا.. فقصور مشيدة اتخمها الترف من أموال المسلمين.. ورعية سُلبت أموالها فلا تجد لها ملبساً يقيها من حر أو برد.

وهكذا يستمر الكاتب في عرضه لشخصية عمر وأنه كفؤ للخلافة وهي حقّ له ويسحب لها بعض الشرعية من خلال بسط ذكر بعض المواقف للإمام علي عليه السلام مع عمر وهو بذلك يريد أن يضفي عليها طابع الإقرار من قبل الإمام عليه السلام لعمر وكأنه يشير إلى أن مبادرة الإمام من المشاركة في تسيير الدولة من خلال إعطاء المشورة إنما هي موافقة ضمنية وإشارة خضراء لشرعية هذا المنصب وصلاحيته.. ثم يعقب بعد ذكر انجازات عمر.. بأن الإمام علي عليه السلام كان المستشار الأول للخليفة !!.. وان عمر كان في اغلب أحكامه يستند إلى مشورة الإمام عليه السلام..

ويدفع ذلك الزعم بأن أمير المؤمنين علي عليه السلام ما كان يعطي المشورة لعمر ليبقي عمر على مسند الخلافة أو ليعترف بشرعيته، بل لكي تبقى كلمة الله هي العليا، فهي المصلحة العامة لا أكثر، ومما يؤكد ذلك انه عليه السلام كان على خلاف مع عمر وانه كان يكره لقائه، روى البخاري في صحيحه، وهذا نصه (عن عائشة.. فأرسل - أي علياً عليه السلام - إلى أبي بكر أن ائتنا ولا يأتنا احد معك كراهية لمحضر عمر)[١٨]. وأيضا ورد في مصادر أخرى[١٩].

عمر والعراق..

يجد حسن العلوي أن عمر له علاقات طيبة في كل بلاد الإسلام فمصر والشام والجزيرة ما زالت تحتفظ بالامتنان لعمر..

إلا انه بقي عالقا في العراق.. فأهل العراق لم يحسنوا له الصنيع رغم انه قد أجزل لهم من أفضاله وأفكاره وأعماله إلا أن البلاد وأهلها أدارت وجهها عن صنيعه ويبقى عمر حائراً!، يُساءل العلوي عن سبب جفاء العراقيين له والعلوي يخوض في صفحات تاريخ العراق عله يجد سببا منطقيا لهذا الإنكار، ولأن هذا البلد أنكر الصنيع فقد سقط في مهاوي الصراعات والانقسامات رغم أن عمر قد حمل له الإسلام ناصعا وواحدا ونقيا..

إذن فأمصار العراق أصبحت في منظار العلوي من اكتشاف عمر وصناعته.. وكأن هذه الأرض التي أثرت التاريخ بعمرها لم يحسب لها وجود إلا بوجود عمر.. الكوفة.. البصرة..

لا ادري لماذا يسعى الكاتب إلى إلصاق

كل مثير ومتميز إلى عمر؟ ربما لرغبة في ذاته يعجز عن مقاومتها !..

ولا ادري كيف ترد الأقطار الشكر إلى أمرائها؟!!.. اعتقد إنها ترد ذلك من خلال تأثير الخليفة ونقشه لسياسته على معالم المدينة لكي تبقى تحتضن آثاره وترويها إلى أسماع الزمن.. ولكل مدينة خطوطها وملامحها التي تكتسبها ممن يخطها فلا إنكار ولا تعمد في تضييع الإحسان.. إنما هي المدن يصنعها خلفاؤها فتخلد ذكرهم.. وأيا كان هذا الذكر فهي إما صرح من صروح المجد والعنفوان وصورة ناصعة عن دولة الإنسان.. وإما سلسلة من الظلم والقمع وسياسات الكبت ينوء بثقلها التاريخ.. هذا إذا سلمنا أن عمر صانع المدن التي يشير إليها الكاتب..

متناسيا من الذي نقل عاصمته من المدينة المنورة إلى الكوفة وأكسب العراق الدور السياسي والعسكري وفيما بعد أعطاه البعد العقائدي من خلال انتشار ذريته وأتباعه في هذا البلد وحتى ارتوت أرضه من دمائهم فأثمرت الولاء والتشيع.

القطيعة والمشاركة.. الثنائية الوهمية..

يقول حسن العلوي إن هناك منهجين يتقاسمان الفقه الشيعي في منظوره للخلافة الإسلامية بعد الرسول صلى الله عليه وآله..

ـ منهج القطيعة الذي لا يعترف بأحقية الخلافة للخلفاء الثلاثة ولا يعترف بشرعية السقيفة وأصحابها، وأصحاب هذا المنهج يستندون إلى أن عصيان القوم لوصية الرسول صلى الله عليه وآله هو ما يدعو إلى الابتعاد عنهم وعدم الاعتراف بهم.. ويميل هذا الاتجاه إلى التطرف في وصف الخلفاء وأحوالهم.. والى جذب عواطف الناس إلى حال الإمام علي عليه السلام وما حل به.. وكذلك يؤكد على فقدان الارتباط بين الجانبين آنذاك ويقطع صلة الحوار والتداخل في الحاضر.. فهو منهج معارض في مضمونه.. رافعا راية (لا).. في وجه المقابل..

ـ والمنهج الآخر أكثر اعتدالا وحكمة وهو منهج قائم على مبدأ المشاورة والمبادرة مستدلا على المشورة التي يقدمها الإمام عليه السلام آنذاك إلى الخليفة وتعاونه مع سلطة الدولة بتسيير أمور المسلمين وإدارة شؤونهم من خلال إعطاء النصح والرأي وبذل المشورة والاقتراحات للخليفة..

ولكل منهج رواد..

وربما عنف الكاتب المستبصرين وهم رجال من السنة، تشيعوا..

عنف عليهم قناعاتهم في المنهج المعارض باعتباره منهجا يفتقر إلى لغة

العقل والحقيقة كما يستعرض مقاطع من كتاب (ثم اهتديت للتيجاني) وغيره..

ويقول العلوي إن هذا المنهج هو وليد حاجات سياسية ونوايا لدول وقع تحت حكمها الوسط الشيعي قاصدة السوء للدين الإسلامي وجهات مؤسسه لهذا الغرض..

ويميل إلى أن منهج المشاركة هو الغالب الآن أو يكاد أن يغلب بعد أن لم يحصد العامة من القطيعة غير لغة الطائفية والتفرقة والدم والدمار..

ولعل القارئ للتاريخ بوضوح، والمتمعن في غربلة أحداثه وتحكيم المنطق والوعي فيه يجد أن الفقه الشيعي الحق.. الفقه المتين المؤسس على رؤى آل البيت ع.. لا يعترف بهذين المنهجين اللذين يراهما حسن العلوي..

إنما يقوم الإسلام على غدير خم ويوقف أهله هناك فيحكمهم أطاعوا قول رسولهم أم لا.. وعلى هذا الرد.. تسلك الأمة طريقها.. وقد سلكته..

مجردين الواقعة من الآراء والاجتهادات.. آخذيها كما ذكرت في كتب الفريقين من أهل الإسلام.. هذا أولا..

وثانياً: موقف الإمام عليه السلام لا يرسم صورتين إحداهما قطيعة والأخرى مشاركة، فموقفه عليه السلام نوجزه في زمنين لا فاصل بينهما..

أولهما: انقطاع الإمام وليس قطيعته للحفاظ على الموروث الديني وتدوينه بعد أن استلب من الدين قائده وتلقفته أيدي السقيفة لذلك كان لزاما عليه جمع السنة بما تحويه ووضعها في منج ديني علمي لبناء المؤسسة الإسلامية على الأساس الأول.

ثانيهما: أن مشاركة الإمام في إبداء المشورة والرأي دليل قاطع على أحقيته بها.. ولأنها له.. إذ لو كان عمر أو غيره ممن يستحقونها فما من داع لرجوعهم إلى الإمام عليه السلام ومعرفة رأيه.. وما أعطى الإمام نصحه إلا ليستقيم أمر هذه الأمة.. وتسير على منهج القران وأحكامه.. ولكي تستعيد روحها الإسلامية بعد أن غاب عنها المؤسس الأول صلى الله عليه وآله وغُيبت وصيته..

بهذه القراءة نجد أن فعل الإمام عليه السلام ما كان لتشكيل ثنائية مع عمر أو القناعة بأن الخلافة عند أهلها، وإنما الأمر كله هو الدين الذي ظمأ.. وجف عوده.. وابتعدت عنه الأمة وقادتها لتلبية حاجات في نفوسهم تتقاطع مع أحكامه..

فلا مشورة الإمام تعطي معنى المشاركة والتصريح بشرعية الخلافة ولا انقطاعه لتأصيل جذور الإسلام تصرح بالقطيعة والتشكي والحث على الفرقة..

إنما هو دور لإخراج الأمة من عقدة الضلال التي هوت بها..

فليس المذهب الشيعي تشطره المشاركة والقطيعة لأنها لا وجود لها وإنما يقوم على مبدأ مصلحة الدين والاحتكام إلى القرآن والعقل.. أما ما وراء ذلك فلا وجود له..

وكذلك فأن دعوة حسن العلوي ربما فيها الاندفاع نحو التقريب بين الفريقين من السنة والشيعة ورغبة في الاندماج والتعارف أكثر.. لكن هذه المبادرة رغم حسنها لا يمكن أن تكون على حساب جهة.. فيبدأ بتهميش أصولها وموقفها وتغييب بعض ما مرت به.. والابتعاد عما تحمله من هوية وتقليص لحجم الأثر الذي خلفته، من اجل توكيد قناعته لدى المقابل

وحثه على التقارب..

فلكل فريق وجهة نظر ورؤية في قراءة الأحداث.. وقناعة في فهم الأمور والمجريات.. إنما المعضلة في الآليات التي تصنع هذه الرؤى والمعتقدات فهي تجعل من المواقف مادة متشنجة فيضاف إليها ويمحى أمنها وتزرعها في حاضنات ملتهبة بالتحذير من الرأي الآخر أو السماع له فتشاع وتروج في هذه الصورة المغلقة..وكل من ركن إلى هذه الأدوات فهو في رهان خاسر من أن يربح التاريخ والإسلام لجهته أيا كانت هذه الجهة..

الفقه الشيعي ليس جبهة معارضة دوما تنادي بالتمرد والصراع.. وليس منابر للنوح والتشكي فتجر قادتها إلى منازل ليست لهم من اجل ربح مشاعر المتلقي وكسبه إلى جانبها.. وليس ساحة تنزل إليها الأنظمة السياسية والجهات المغرضة فتتجاذب أسسها وتوظفها لخدمة أغراضها وترتقي على رموزها..

وربما المطلع على آراء مراجعه وقادته يرى اتفاقهم على وحدة الدين مع قبول الرأي الآخر ومناظرته ومناقشته تحت سقف المنطق والعقل دون التعدي عليه أو رفضه..

فلو راجعنا كتابات الشيعة قاطبة لا تجد أي عالم أو فقيه أو مرجع اصدر فتوى بتكفير الفريق الآخر أو وصمه بالشرك..

وقراءة التاريخ بمنظور العقيدة، دون أن تجرفنا رغبة أو عاطفة أو ميل.. فلم نُخلق وفي عروقنا الكره والاتهام والتشهير..

فلو سار العلوي في طرحه على درب الحقيقة دون إغفال بعض الحوادث أو النأي عنها والإقبال على الأخرى فسوف يجد المؤسسة الشيعية دوما تفتح أبوابها للمناظرة والمناقشة.. بعيداً عن التجريح والتسقيط لأن هذه المؤسسة موجودة كما يعرفها العلوي ومؤسسها الإمام علي عليه السلام من أوائل بناة الكيان الإسلامي وتأسيس دولة الإسلام فلا يعقل أن ينسلخ هذا النسيج السامي ويركن بالتمرد والعصيان وهو أولى في التقريب أسوة بقائده..

فلا يقوم التقارب بسحق معالم الفقه الشيعي وما يقوم عليه وان كان حسن العلوي أو غيره ذاما المذهب الشيعي على انعكافه على التمسك بالإمامة وعدم اعترافه بسيرة الخلفاء.. فيجب عليه أن يلقي الضوء على جميع الأحداث التي شهدتها الأمة الإسلامية منذ ولادتها إلى أن فارقت سيدها صلى الله عليه وآله..

عمر و...

يكتب الكاتب في حادثة عمر مع السيدة فاطمة عليها السلام أسطراً مقتضبة وموجزة ولا ادري لماذا لم يقف عند هذه الحادثة ولم يستعرضها استعراضا وافيا لأنها قد ترتبط بها مكونات شخصية عمر والتي هي أولى دلائله وتقحمه في أزمة لا يخرج منها بحجة الصفات النبيلة ومقومات الفطرة العربية فيمر بهذه الحادثة مرورا خجولا..

فيقول لا صحة لمثل هذا الكلام المذكور في كتب الشيعة عن هجوم عمر على بيت الزهراء عليها السلام..

متناسيا انه قد ذكر في كتب غير الشيعة[٢٠]، خلطا للأوراق.

ومما يذكره من أسباب لعدم قناعته بذلك أن فاطمة عليها السلام وهي بنت الرسول عليه السلام وسليلة النبوة ورمز العفاف لا يمكن أن تقوم بفتح الباب للقادمين وهم رجال فضلا عن أن زوجها في بيتها..

ولا ادري من اسر للعلوي أن المهاجمين كانوا ضيوفا.. أو أهل حاجة حتى يبادر إلى القول أن فاطمة عليها السلام ذهبت لفتح الباب.. إنهم كانوا قاصدين بيت النبوة من اجل اخذ البيعة لأبي بكر.. حيث جاب عمر بيوت الأنصار والصحابة طلبا للبيعة وقصد بيت علي عليه السلام حينما علم بمعارضته.. لكنه قصد راغما لا طالبا..

أما أن الزهراء كانت وراء الباب فكانت تذكر القوم بالرسول صلى الله عليه وآله وما زال ثراه نديا..

تذكرهم بأنها ابنته.. وبقيته.. دارها داره.. فيجب عليهم احترام هذه الدار..

لكنهم فعلوا العكس!.... وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون والعاقبة للمتقين.

إلى هنا نتوقف! ■

---

(١) صحيح البخاري، رقم الحديث ٢٩٠٩ وصحيح مسلم، رقم الحديث ٣٢٩٥.
(٢) مسند احمد بن حنبل، زهد عمر، رقم الحديث ٦٠٠.
(٣) السيوطي، الدر المنثور، ج٦ص٣١٧.
(٤) صحيح مسلم، التفسير، في نزول تحريم الخمر، رقم الحديث ٣٠٣٥.
(٥) صحيح مسلم، الطلاق، رقم الحديث، ٢٦٨٩.
(٦) صحيح البخاري، التيمم، رقم الحديث ٣٢٦.
(٧) تاريخ الطبري، ج: ٢ ص: ٤٣٩.
(٨) كنز العمال، ج: ١٠ ص: ٥٧٢.
(٩) صحيح البخاري، العلم، كتابة العلم، رقم الحديث ١١١.
(١٠) صحيح البخاري، رقم الأحاديث ١١١ و٥٢٣٧ و٦٨١٨ وغيرها، صحيح مسلم رقم الحديث ٣٠٩١.
(١١) مسند احمد، رقم الاحاديث ٢٩٤٥ و١٤١٩٩ و٢٨٣٥ وغيرها.
(١٢) ابن تيمية، منهاج السنة، الجزء السادس، الصفحة٢٤.
(١٣) النسائي، السنن الكبرى ج٣ص٤٣٣ وص٤٣٥ وص٣٦٠.
(١٤) الهيثمي، مجمع الزوائد ج٤ص٢١٤.
(١٥) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢ص٢٤٣ وص٢٤٤.
(١٦) تاريخ الطبري، ج: ٢ ص: ٦١٨وص٦٢١، مجمع الزوائد ج٥ص١٨٤، كنز العمال ج٥ص٦٥٨، وغيرهم كثير.
(١٧) نهج البلاغة للإمام علي عليه السلام (الخطبة الشقشقية).
(١٨) صحيح البخاري، رقم الحديث ٣٩١٣ و٤٩٣٩ و٦٧٦١.
(١٩) صحيح مسلم، رقم الحديث ٣٣٠٢ و٣٣٠٤.
(٢٠) ابن حجر، لسان الميزان، ج١ص٢٦٨ والذهبي، ميزان الاعتدال ج١ص١٣٩ والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٥ص٥٧٨ وغيرهم.

أجوبة مسابقة العدد (٣٨) وأسماء الفائزين

السـؤال الأول: ب. ٢٥ سنة

السـؤال الثـاني: ب. مسيل السهلة

السـؤال الثالـث: ب. العلم المكتوب في الكتب السماوية

السـؤال الرابـع: ب. حجر بن عدي

السؤال الخامس: أ. ١١ رمضان

السؤال السادس: ب. معقل بن قيس الرياحي

السـؤال السـابع: ب. مرتان

السـؤال الثامـن: أ. يوم واقعة الأحزاب

السـؤال التاسـع: ج. الأئمة الاثنى عشر

الفائز بالجائزة الأولى: وائل حسين محمد/ البصرة ـ الجنينة.

الفائز بالجائزة الثانية: حيدر هادي عبد الكاظم/ الحلة ـ نادر الثانية.

الفائز بالجائزة الثالثة: باسم بچاي جويد/ الديوانية ـ الصدر ٢.

على الفائزين مراجعة مقر المؤسسة لاستلام جوائزهم

ويسقط حق المطالبة بالجوائز بعد مرور ثلاثة أشهر من صدور العدد

مسابقة العدد (٤١)

١ «**إنكما مَن أرادني وبايعني وإن العامة لم تبايعني لسلطان غاصب ولا لعرض حاضر فإن كنتما بايعتماني طائعين فارجعا وتوبا**»، من كتاب أرسله الإمام علي عليه السلام إلى طلحة والزبير، فمع من أرسله؟

أ ـ سعيد بن قيس الهمداني

ب ـ عمران بن الحصين الخزاعي

ج ـ قيس بن مسهر الصيداوي

٢ كانت ثورة حجر بن عدي سنة ٥١هـ قد وقعت بعد صلح الإمام الحسن عليه السلام ولكنها أخفقت في تحقيق أهدافها، فاقتيد حجر وأصحابه إلى معاوية فأمر بقتلهم. فكم قتل من أصحاب حجر؟

أ ـ ٧ أشخاص ب ـ ٨ أشخاص

ج ـ ٩ أشخاص

٣ مدينة غزاها النبي صلى الله عليه وآله سنة ٥هـ، كان ملكها النصراني يعترض تجارة أهل المدينة وقد سميت تلك الغزوة باسم المدينة. فما اسمها؟

أ ـ مؤتة ب ـ دومة الجندل

ج ـ الشراة

٤ **وليي علي حيث كنت وليه ومخلصه بل عبد عبد لعبده**
لعمرك قلبي مغرم بمحبتي له طول عمري ثم بعد لولده

أبيات نظمها شيخ المحدثين وأفضل المتبحرين من أعاظم علماء الشيعة، فمن هو؟

أ ـ الشهيد الأول ب ـ الحر العاملي

ج ـ ابن إدريس الحلي

كوبون المسابقة

ينابيع ٤١

جواب السؤال الأول: أ ب ج

جواب السؤال الثاني: أ ب ج

جواب السؤال الثالث: أ ب ج

جواب السؤال الرابع: أ ب ج

الاسم الثلاثي: .....

العنوان: .....

٥

ما ورد في علامات ظهور القائم (عجل الله فرجه) خروج قوم من الأقوام إلى موضع يقال له: سرّة الشام، فمَن هؤلاء القوم؟

أ ـ البربر　　ب ـ الأتراك

ج ـ الأحباش

٦

في عهد رسول الله ﷺ تغير اتجاه القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة، فمتى حدث ذلك؟

أ ـ سنة ١هـ　　ب ـ سنة ٢هـ

ج ـ سنة ٣هـ

٧

فاطمة بنت الحسين الأثرم بن الإمام الحسن السبط عليه السلام من النساء العابدات، تزوجها الإمام الصادق عليه السلام فولدت له ولدين، فمن هما؟

أ ـ إسماعيل وعبد الله　　ب ـ إسماعيل وإسحاق

ج ـ إسحاق وموسى

٨

اختصت السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام بأسماء كثيرة، وكان رسول الله ﷺ أراد أن يسميها باسم عرفت به عند أهل السماء، فما هو ذلك الاسم؟

أ ـ الميمونة　　ب ـ المحمودة

ج ـ المنصورة

٩

لما قدم النبي ﷺ إلى المدينة في أول هجرته نزل بقباء، فلما قيل له ادخل، قال: «**لا أريم من هذا المكان حتى يوافي أخي علي**»، فكم مكث ﷺ في مكانه إلى أن وافاه علي عليه السلام بعياله؟

أ ـ ١٠ أيام　　ب ـ ١٢ يوماً

ج ـ ١٥ يوماً

كوبون المسابقة

جوائز المسابقة

الأولى: ١٠٠،٠٠٠ دينار. الثانية: ٧٥،٠٠٠ دينار. الثالثة: ٥٠،٠٠٠ دينار. يتعين الفائز بإجراء القرعة.

شروط المسابقة

* الإجابة عن ثمانية أسئلة فقط. * يوضع الكوبون في ظرف ويكتب عليه (مسابقة مجلة ينابيع) مع الاسم الثلاثي الصريح والعنوان الكامل ورقم الهاتف بوضوح ويرسل على عنوان المؤسسة. وبخلافه تهمل الإجابات. * آخر موعد لاستلام الأجوبة هو ١/ شعبان/ ١٤٣٢هـ.

جواب السؤال السابع	أ	ب	ج

جواب السؤال السادس	أ	ب	ج

جواب السؤال الخامس	أ	ب	ج

جواب السؤال الثامن	أ	ب	ج

جواب السؤال التاسع	أ	ب	ج